التَّوحيدُ في شعرِ ثلاثةِ شُعَراءَ جاهِليِّين

أ . م. د. علاء جاسم جابر

هذا بحثٌ له صلةٌ ببحثٍ رائد ، يمكن عَدُّهُ مُتمِّماً له [١]؛ إذ كان القلقُ يساورُ البحثَ في ألاّ تكفي المادةُ الشعرية لإنجازه ، وإذا بهذه المادة تتجاوز المطلوب ، فاستأذنتُ أستاذيَ المشرف في إرجاء شعر ثلاثةٍ من شعراء التوحيد ، يُمثِّلُ هاءَ ثُلثِ المجموع الذي تجاوز ألفَي بيت .

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون) [٢]وهكذا كان خَلقُ أوَّلِ البشر؛ سيِّدنا آدمَ υوحَوّاء 3 عابدَين لله تعالى مُوَحِّدَين ..فالتوحيد هو الأصلُ الأقدم في عبادة البشر ، فأول إنسيين هَبطا إلى الأرض ، كان أحدُهما نبيّاً ورسولاً ، ولكن سرعانَ ما انحرفت البشريةُ عن خطِّ التوحيد ، فبعث اللهُ سبحانه الأنبياءَ والرسل لِيُرشدوا الناس ويَهدوهم سَواءَ السبيل؛لأنَّ عدوَّ البشر إبليسَ اللعين، الذي أبى أن يسجدَ لآدم υ ، كان في أول النازلين .فكان في مُقابله وذريته : (أربعةٌ وعشرون ألفاً ومئةُ ألف) نبي و(ستون وثلاثمئة) رسول [٣] ، عدَّ منهم القرآن الكريم : (خمسةً وعشرين)،وجاءت بَعثةُ النبيِّ الأميِّ الخَاتَمِ محمدُ بنُ عبد الله 6 لِتُؤكِّدَ هذا الأصلَ ،وتُقيمَ على أساسه المتين بُنياناً راسخاً باقياً حتى يرثَ اللهُالأرضَ ومَن عليها .

وكان أُولو العَزم من الرُّسل أصحابَ أهمِّ رسالات السماء ، فبعد سَيِّدنا آدم υ الذي انبثقت البشريةُ من ذُرِّيته ، كان سيدُنا نوح υصاحبَ الطُّوفان العظيم الذي أغرقَ الكفرةَ المارقين ، وأنجى اللهُ عباده المؤمنين بسفينة نوح υ،فكان أنْ بدأت البشريةُ بدايةً توحيدية جديدة ، تستنير بُرسالة الأبِ الثاني لها .. ثم جاءت دعوةُسيدنا إبراهيمَ الخليل υ الذي بدأ بمحاربة الشِّرك والكُفر بمفرده ، حتى أصبح علَماً هادياً لعباد الله الموحِّدين .. ثم كان سيدُنا موسى الكليم υ الذي أسقطَ أعتى قوى الكفر والبغي في عصره ؛ فرعون وهامان وقارون،وأنقذَ عبادَ الله المستضعفين ليكونوا سادةً بإيمانهم المكين بالله الواحد الأحد .. وجاء عيسى υفزلزلَ أركانَ الشرك والضَّلال بمعجزاته الباهرات ،وبَثَّ رُوحَ التوحيد من جديد في دين الله العتيد .. ثم بُعث محمدٌ 6ليُظهر دينَ الله الواحد وهو الإسلام ، وأساسه التوحيد حتى قيام الساعة .

وقبل البعثة الخاتمة كان الناسُ على فترةٍ من الرسل ، وفي جزيرة العرب حيث بيتُ الله الحرام ، كان هذا الخَيط التوحيدي المبتدئ مع أول نَفَس بشريٍّ –بل كان قبلُ– مُمتدّاً عَبر عصورها متسانداً بدَعَوات أنبياء الله الكرام.فكان عربُ الجاهلية عُموماً يُؤمنون بالله ، ويَعرفون صفاته القدسية، كما قال تعالى:وَ(لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [٤]لكنَّ أكثرَهُم –عن جهلٍ

---

[١] هو : (التوحيد في الشعر العربي قبل الإسلام) ، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب جامعة بغداد بتاريخ ١٩٨٣/٤/٢. وتألفت لجنة المناقشة من الأساتذة المرحومين الدكتور نوري حمودي القيسي رئيساً ، والدكتور عادل جاسم البياتي عضواً ، والدكتور محمود عبد الله الجادر عضواً ومشرفاً وحصلت على درجة امتياز .

[٢] سورة الذاريات ، ٥٦/٥١ .

[٣] ينظر: مسند أحمد بن حنبل .

[٤] سورة العنكبوت ، ٦١/٢٩ .

بجَوهر الدين – يُشركُ بعبادته الأصنامَ ، قال سبحانه: **(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ)** (١) ، وصنفٌ منهم قال بالدَّهر وعطَّلَ المصنوعات عن الصانع كما حكى القرآن عنهم: **(قَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ)** (٢) ، ومنهم من كان يَميلُ إلى اليهودية ، ومنهم مَن كان يميل إلى النَّصرانية ، ومنهم من كان يميل إلى الصابئة ويعتقد بأنواء المنازل اعتقادَ المُنجِّمين في الكواكب، ويقولون: مُطِرْنَا بنَوء كذا، ومنهم مَن عَبَدَ الملائكة ، ومنهم مَن عَبَدَ الجنّ .

ويقال إنَّ أوَّلَ من أَدخلَ الأصنامَ بأرض العرب عَمرُو بن لُحَيّ ، أبو خزاعة، وقيل إنَّ أولَ ما كان من عبادة الأصنام في بني إسماعيل υ أنه كان لا يَظعَنُ من مكةَ ظاعنٌ حين ضاقت عليهم ، إلاّ حَمَلَ معه حجراً من حجارة الحَرَم تعظيماً له فحيثما نزلوا ، طافوا به كما كانوا يطوفون بالكعبة حتى سَلَخَ ذلك بهم ، فعبدوا ما استحسنوا من الحجارة ، ونَسُوا خالصَ التوحيد، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل 8 غيرَهُ ، فعبدوا الأصنامَ وصاروا إلى ما كان عليه الأُممُ من قبلهم من الضلالة، وفيهم مع ذلك ، بقايا من دين إبراهيم υ يَتمسَّكون بها من تعظيم البيت ، والطَّواف به ، والعُمرة ، والحَجّ ، وهَدْي البُدْن والإهلال بالحّجِّ والعُمرة .. مع إدخالهم ما ليس منه فكانت كِنانةُ وقُرَيش إذا أَهلُّوا قالوا : **(لَبِّيكَ اللهمَّ لَبَّيك ، لا شريكَ لَكَ ، إلاّ شريكٌ هو لَكَ تَملكُه وما مَلَك)** فيُوحِّدونه بالتَّلبية ، ثم يُدخلون معه أصنامَهم ويَجعلونَ مِلكها بيده سبحانه. وكان لِقُرَيش صَنَمٌ بِجَوف الكعبة يُقال له هُبَلُ وعلى الصَّفا والمَرْوة إِسافُ ونائلة ، وكان لِهُذَيل صنمٌ بِرهاط يقال له سُواع (٣) ، وهكذا.

وكانت العربُ قد اتَّخذت مع الكعبة طواغيتَ، هي بيوتٌ فيها أصنامٌ تُعظِّمها كما تُعظِّمُ الكعبةَ ، لها سَدَنَةٌ وحُجَّاب ، وتَهدي إليها كما تَهدي للكعبة وتطوفُ بها كما تطوفُ بالبيت ، وتَنحَرُ عندها ، وكانت تَعرفُ فَضلَ الكعبة أَنها بيتُ إبراهيم الخليل υ . فكانت لقريش وبني كنانة : العُزّى بِنَخلةَ ، وكانت اللاتُ لثَقيف بالطائف ، ومَناة للأوس والخزرج، وهكذا.. فلما جاء الإسلامُ ، وأظهر اللهُ دينَهُ ، هُدِمَتْ هذه البيوتُ وكُسِرتْ الأصنام (٤).

وقد وسَمَت العربُ قُريشاً بالحُمْس" (٥) ؛ لِتَشدُّدِها في دينها، إذ كانوا أوّلَ المَوصوفين بالحنيفية الناصعة؛ فهم أهلُ الحَرَم " الوارثون لدين سيدنا إبراهيم υ الملتزمون بمنهاجه بقوّة، كما كانوا يعتقدون أنهم الأحق بسيرة سبيله .

هنا يبرز سؤال : **ما العاملُ** الروحي لتوحيد العرب ؟ أَهي الأصنامُ ، أَم دينُهم الحنيف ؟ إنَّ مَناةَ مثلاً . لم تستطع أن تُوحِّدَ بين الأوس والخزرج، بل على العكس كانوا في نزاع مستمر ، أو أنهم لم يكونوا يَعُدُّونها .

---

(١) سورة يوسف ، ١٢/١٠٦ .

(٢) سورة الجاثية ، ٤٥/٢٤ .

(٣) ينظر: **الأصنام** ، هشام بن السائب الكلبي ، ص ٦ و ٨-٩ و ٢٩ .

ودراسة د. عادل جاسم البياتي ، نصوص من التلبيات قبل الإسلام .

(٤) ينظر: الأديان في القرآن ، محمود بن الشريف ، ص٤٦-٤٧ .

(٥) جمع أَحمَس : الشديد الصُّلب في الدين والقتال ، ينظر: مختار الصحاح / (حمس) .

ربّاً حقيقياً يُوَحِّدهم ويلتزمون تجاهه صفّاً واحداً ، فلم يحتكموا إلى هذه الأصنام لِتُنهي نزاعَهم. ثم إنها لم تُذكر في الشعر الجاهلي بكثرةٍ نِسبةً إلى ذِكر الله سبحانه وأسمائه الحسنى وصفاته العليا .

ففي هذه الفترة التي سبقت الإسلامَ الحنيف ، كان العربُ عموماً قد انحرفوا عن أصل دين الله القويم وتوحيده ، وإن كان لديهم إرثٌ من الأنبياء السابقين ، ومعرفةٌ بتاريخ بعضهم ، ودرايةٌ بالكتب المقدسة للرسالتين الأخيرتين المُوسويّة والعِيسويّة ، وكان العرب يستشهدون ويَتَمثَّلون بالأُمم والقبائل البائدة ، والدول والملوك الهالكين مُعتبرينَ ومُتَّعظين .

وفي كلّ الأحوال كان خَيطُ التوحيد على امتداده الأَزلي سالكاً طريقَه المستقيم ، وربما كان المُوحِّدون فئتين : الأولى ؛ عامةُ العرب ، يقولون بِحَنيفيَّتهم على دين أبيهم إسماعيل دون عِلمٍ أو فَهمٍ أو إدراك واضح بما يَفرضه عليهم هذا الدِّين من منهجٍ وسُلوك .

والفئة الثانية : الذين بَقَوا على أَثارةٍ من دين الخليل υ ، لم يَضلُّوا في ظلام الجاهلية ولم يَحجُبوا نورَ التَّوحيد الخالص . وهؤلاء صنفان يمكن أَن يُوصَفَ الأَولُ بِعُموم الموحدين ، وهم الأحناف بلا ثقافة حَنيفية دقيقة ولا إيمان راسخ بمعتقداتها . والصنف الثاني : المُتحنِّفون الملتزمون بالدين عن فَهم وإيمان ويَقين ؛ هم أعلامُ التوحيد والنور في عصر الضَّلال ، أو هم المسلمون قبل الإسلام ، ويمكن عَدُّهم عَدّاً .

الشعراءُ الثلاثة الذين كان شعرهم دليلَ هذه الدِّراسة في تَلَمُّسِ هذا الخيط المتَّصل في عبادة الله وحده لموحِّدي العربَ جميعاً ، حيث كان كلٌ منهم من قبيلةٍ كبيرة تَشغَلُ رُقعةً واسعة من الجزيرة ، فضلاً عن كونهم من أشراف قبائلهم ، ومن الشخصيات المعروفة لدى العرب كافةً ، ومن الشعراء البارزين الذين يُشارُ إليهم بالبَنان وقد جالوا أقطارَ أرض العرب وما جاورَها ، فكانت لهم ثقافةٌ واسعة إذ كانوا من المُطَّلعين على معارف عصرهم وعلى وعيٍ تامٍّ بظروف مجتمعهم وتاريخه ، حاملين تُراثَ الماضين حتى بُزوغ فجر الإسلام .

أَوّلُ هؤلاء الثلاثة . بِحَسَب أَسبقيَّة وَفَياتهم . هو أبو طالب عَبدُ مَناف بن عبدِ المُطَّلب شَيبةِ الحَمْد بن هاشمٍ عَمروٍ يَتَّصلُ نَسَبُهُ بسيِّدنا إبراهيم الخليل a وهو عَمُّ النَّبيِّ الكريم وكافِلُه وناصِرُه ، وسَيِّدُ قريش ومكة وساقي الحَجيج وسادنُ الكعبة . توفي قُبيلَ الهجرة إلى المدينة بنحو سنتين عن ثمانين عاماً تقريباً .. تميَّزَ شعرُه بمُواكبة حياة النبي الأكرم 6 مُنذ نُعومة أظفاره ، وباستلهام امتداد جذور العائلة المباركة في عُمق تاريخ الحنيفية الموحِّدة ، ويمكن عدُّه مُمثلاً للحنفاء الملتزمين المتنوِّرين ؛ أصدقَ تمثيل .

وثانيهم : أبو بَصير الأعشى الكبير ميمونُ بنُ قيس بن جَندل البكريّ ، كان كثيرَ التِّجوال ، طافَ بِقاعَ الحزيرة وزار الملوك والأُمراء ومَدَحَهُم وهجا آخرين ، سُمِّيَ صناجةَ العرب لِتَغَنِّيه بشعره، وقد لقيَ الإكرام والترحيب أينما حلَّ وأقام . تَهيّأ للإسلام، لكنه مات قبل أن يُسلمَ سنةَ سبعٍ للهجرة ، قُبيل فتح مكة ، يتميَّز شعره التوحيدي بالخُطوط العامَّة والعلامات التاريخية التي عاصرها أو سمع عنها والتي تكوِّنُ جُزءاً من معارف العرب ولها أثرٌ في مُعتقدهم الحنيف ، وهو ممن بقي على أَثارةٍ من دين إبراهيم لكن دون أن يَتنوَّرَ قلبُه بنور الحنيفية الصافية .

أما الثالثُ فهو أُميةُ بنُ أبي الصَّلْت عبدُالله بنُ ربيعة؛ من قبيلة ثَقيف التي كانت تسكُنُ الطّائفَ . كان يَمتلكُ ثقافةً تاريخية بالأديان السَّموية ، وكان عارفةً بالرسالة الخاتمة مُستشرفاً لها ، فكان يَطمعُ بها ، وبعد البَعثة المُحمديَّة الشَّريفة هَمَّ بالإسلام لكن حَسَدَهُ جعله يموتُ مُعانداً سنةَ تسعٍ للهجرة بُعَيدَ فَتحِ مكة . يتميَّزُ شعره عموماً بِمُسحة توحيدية واضحة من خلال دراسته الكتبَ المقدسة وتأَلُّهِه وتَحنُّفه على آثار دين إبراهيم الخليل υ ، وكان عارفاً جاحداً ، كما قال سيدنا محمد 6 فيه : [آمَنَ لِسانُهُ ولَمْ يُؤْمِنْ قَلبُه] ⁽¹⁾ .

وستُقدِّمُ المادةُ الخام لهذا البحث من دون إثقالها بالجانب التاريخي والتحليل النقدي لِيَبرُزَ شعرُهم المعبِّر بذاته عن توحيدهم الذي نجدُ فيه ظِلالَ الحنيفيةِ الحقّة ؛ دِينِ إبراهيمَ الخليل υ مَوصولاً بآبائه الأنبياء الكرام حتى أبينا آدم υ ، وتتصل بمن بعدها من الأنبياء والمرسلين حتى خاتَمِهم 6 فهي سلكٌ يَنتظمُ أنبياءَ الله ورسالاته الموحدة في دين الله الواحد الذي مَثَّلَتْهُ خيرَ تمثيل رسالةُ الإسلام الخالدة ، لذلك فلا استغراب من وجود معاني بعض الآيات القرآنية يقارِبُ أو يُشابِه بعض ألفاظها أو ربما تطابق مع روحها في أبياتٍ من شعر الجاهليين وخصوصاً الثلاثة المذكورين ..

المعبودُ الحقُّ واحد :

يقول أُميَّةُ بنُ أبي الصَّلْت في توحيد الله ، وقَصص الأنبياء : : (من الطويل)

أَلاَ كُلُّ شَيءٍ هالكٌ غَيرَ رَبِّنا   مِيراثُ الَّذي كانَ فانِيَا

يٌّ لَهُ مِن دُونِ كُلٍّ ولايةٌ   إذا شاءَ لم يُمسُوا جميعاً مَوالِيَا
نْ يَكُ شَيءٌ خالداً ومُعمِّراً   أمَّلْ تَجِدْ مَن فوقَهُ اللهُ باقِيَا

ه ما رأَتْ عَينَ البَصيرِ وفَوقَهُ   سماءُ الإلهِ فَوقَ سَبعٍ سمائيا ⁽²⁾
وقدرتُكَ الإنسانَ رَحمةُ رَبِّه   ولو كنت تحتَ الأرضِ سبعينَ واديَا
تَعالى، وتُدرِكْهُ مِن اللهِ رحمةٌ   ويُضحي ثَناهُ في البَريَّةِ زاكيَا ⁽³⁾
جمةِ نُوحٍ يَومَ حَلَّ بِسبعةٍ   لِمَهبِطِهِ كانوا جميعاً ثَمانيَا
ا استَنارَ اللهُ تَنُّورَ أَرضِهِ   ارَ وكانَ الماءُ في الأرضِ ساحيَا

---

[1] سُنن أبي داود / أدب ، ص٣٥ . مسند ابن حنبل ، ٤٢١/٤ ، ٤٢٤ .

[2] سماء الإله ؛ (هنا) : العرش ، وقد جمعه على فعائل كما تجمع سحابة على سحائب ، ثم ردّه إلى الأصل ولم يُنون كما ينون جَوارٍ ، ثم نصب الياء الأخيرة، لأنه جعله بمنزلة الصحيح الذي لا ينصرف كما تقول مررتُ بصحائفَ . ينظر : اللسان ، (سما) .

[3] تدركْه ؛ جزمها للضرورة الشعرية .

ـــا بِابْنـــهِ نُـــوحٌ أَلاَ ارْكَـــبْ فـــإِنَّني   دَعَوتُـــكَ لَمَّـــا أَقبـــلَ المـــاءُ طاغيَـــا
فقـــالَ :ســـأَرقى فَـــوقَ أَعـــيَطَ حـــالقٍ   فقـــالَ لَـــهُ لَســـتَ الغُدَيّـــةَ ناجيَـــا [١]

فإ البيتَ الأولَ يُحاكي قولُهُ تعالى كُلُّ شَيْءٍ (هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [٢]، فهو يعرف أن الباقي هو الله وحده ، وكل مخلوقاته مآلها إليه سبحانه في الآخرة كما كانت تحت رعايته وحُكمه بمشيئته في الدنيا .وأن كلّ ما في الكون هو من صنع الله تعالى ، ولا يَغيبُ عن علمه ورحمته شيء ؛ ويدلل على ذلك بقصة سيدنا نوح υوكيف أنقذه الله بالسفينة حينما حلَّ غضبُه بالكفرة ، فغرقوا جميعاً ومنهم ابنُ نوح υ الذي كان مع الضالين .

ويؤكد أُمية أنَّ البقاء لله وحده : (من البسيط)

ـيسَ يَبقـــى بِوَجـــهِ اللهِ مُخْتَلَـــقٌ   الســـــماءُ وإلاّ الأرضُ والكَفِـــــرُ [٣]

ولكن بلا استثناء ؛ إذ [ڃ چ ڍ *ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ] [٤]، هذا هو الحقّ ، كما قال : [ڈ ڑ ڤ ڦ ڨ ڨ] [٥] ، [ک ڪ ګ ڱ ڳ ڳ ڴ] [٦] ،ويَجيءُ نبيُّ الإسلام الخاتَم لِيَدعُوَ إلى التوحيد الناصع ويَدفعَ عنه ما شابَهُ تضليل ، فيُحارَبُ وتُكتبُ صحيفةُ المقاطعة ويُحاصَرُ هو وآلُهُ من بني هاشم والمطلب ، ثلاثَ سنينَ في شِعب أبي طالب ثم يُظهِرُ اللهُ الحقَّ بِتَسخيرِ دُوَيبةٍ حقيرة لِتأكلَ كلَّ ما سطَّروه من ظلم وعدوان في هذه الصحيفة؛ ليبقى اسمُ الله وحدَهُ شاهداً ومُهَيمناً .. يقول أبو طالب : (من الطويل)

ـــا ذَنـــبُ مَـــن يـــدعو إلـــى اللهِ وَحـــدَهُ   ـــنٍ قَـــديمٍ أَهلُـــهُ غيـــرُ خُيَّـــبِ
ِما ظُلمُ مَن يدعو إلى البِرِّ والتُّقى   الثَّأى في يَومٍ لادِينَ مَشعَبِ [٧]

ـَـد كـــانَ فـــي أَمـــرِ الصَّـــحيفةِ عِبـــرَةٌ   ـاكَ بِهـــا مِـــن عائـــبٍ مُتَعصِّـــبِ [٨]
حـــا اللهُ منهـــا كُفـــرَهُمْ وعُقـــوقَهم   ـــا نَقَمـــوا مِـــن صـــادقِ القَـــولِ مُنجِـــبِ [١]

---

[١] أعيط : الجبل المرتفع . حالق :لا نبتَ فيه ، (ينظر : اللسان) .
ديوان أُمية بن أبي الصَّلت ، جمعه وحققه وشرحه د. سجيع جميل الجبيلي ، ص١٥٠ – ١٥١ .
وسيُشار إلى هذا المصدر لاحقاً بـ(ديوان أُمية) .

[٢] سورة القصص ، ٨٨/٢٨ .

[٣] الكفر : العظيم من الجبال .
ديوان أُمية ، ص٨٢ .

[٤] سورة الرحمن ، ٢٦/٥٥-٢٧ .

[٥] سورة الأنبياء ، ١٠٤/٢١ .

[٦] سورة طه ، ١٠٥/٢٠ .

[٧] الرأب : الإصلاح . الثأى : الفساد . المشعب : الطريق .

[٨] العبرة : العظة ، وجمعها :عِبَر . عائب ؛ فاعل أتاك . متعصب : متشدد في الدفاع .

ـلا تَحسـبُونَا خـاذِلينَ محمـداً ـذي غُربـةٍ مِنّـا ولا مُتقـرَّبِ [2]
نصُـرُهُ اللهُ الـذي هُـوَ ربُّـهُ ـلِ العُقَيْـرِ أو بِسُـكّانِ يَثْـرِبِ [3]
ـلا والـذي يَخـدي لَـهُ كـلُّ مُـرتَمٍ ـيحٍ بِجَنبَـي نَخلـةٍ فالمُحصَّـبِ [4]
ميناً صَـدَقْنَا اللهَ فيهـا ولـم نكـنْ ـفَ بُطـلاً بِـالعَتيقِ المُحجَّـبِ [5]

فالدعوة إلى عبادة الله وحده ، دينٌ قديم معروف ، وأهله هم المؤمنون الفائزون عند ربهم .. ولكن هناك ظلمُ المارقين لأن هذا الدين دعا الناس َ لِيَصِلوا أرحامَهم ويتَّقُوا ربهم ويُصلحوا فسادهم في زمنٍ رَسَ َ فيه الإصلاح والصلاح وشَمَخَ فيه الإفساد والطلاح، فكان هؤلاء المتعصِّبون في ضلالهم أعداءً ألدّاء ..إن ما حدث بالصحيفة المعلقة بالكعبة من تسليط الأرضة لمحو ما فيها من كفر وعقوق ، عظةٌ بَيِّنة تناقلها المعتدون أنفسُهم ، لكن طلعُبةَ المؤمنة بدين الله لا تَخذُلُ نَبيَّهُ لأيٍّ كان ، والله تعالى قادرٌ على تَهيئة أسباب نصره المبين ثم يُقسم الشاعرُ ببيت الله الذي يَحُجُّ إليه عبادُه ، وهو صادقٌ ؛لأنه حلفَ بالكعبة المقدسة التي شَرَّفها الله تعالى ، وأعلى بناءها إبراهيمُ خليل الله وإسماعيل أبو العرب 8 .

وكما عبَّرَ أبو طالب عن جَدَرٍ دينهم وانبعاثه يُشيرُ أميةُ - كما أشار آنفاً إلى نبي الله نوح υ - إلى نسيان سيدنا آدم υ أمرَ الله تعالى ، بألاّ يقتربَ من الشجرة : (من المنسرح)

ي صِـبغةِ اللهِ كـانَ إذ نَسِـيَ الـ ـهدَ عَوخَلَّـى الصَّـوابَ إذ عَرَفَـا [6]

وهذا دليلٌ على أنهم يعتنقون ديناً سماوياً؛ إذ ينسبونه إلى الله تعالى ، وهو قوله Y : [ٿ ٹ ٺ ٽ ٽ ڤ ڦ ڦ ڤ ڤ] [7] .

---

[1] محا أزال بوساطة الأرضة التي سلّطها عليها ، وهو بيان للعبرة في البيت قبله منجب ؛ من أنجب بمعنى نَجُبَ : كريم الحسب محمود .
[2] لذي غربة : غريب ، متقرب : قريب .
[3] العقير : مدينة بالبحرين . يثرب : مدينة النبي 6 .
[4] يخدي : يُسرع . مرتم : ساقطٌ على الأرض . طليح : هزيل . نخلة ؛ (الشامية واليمانية) : وأديان على ليلة من مكة شرفها الله تعالى . المحصب : موضع رمي الجمار بمِنى .
[5] العتيق المحجب : الكعبة .
غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب ، جمع وشرح محمد خليل الخطيب ، ص٢٩-٣٤ .
وسيُشار إلى هذا المصدر لاحقاً بـ(غاية المطالب) .
وقد وردَ منها بيتان في ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ، صنعة عليّ بن حمزة البصريّ التميميّ ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ص٢٥٦ .
وسيُشار إلى هذا المصدر لاحقاً بـ(ديوان أبي طالب) .
[6] صبغة لله : دين الله .
ديوان أمية ، ص٨٩ .
[7] سورة طه ، ١١٥/٢٠ .

وفي بيتٍ آخرَ يفوحُ بالوحدانية الحقّة ، يُثني أميةُ الثناءَ الحَسَن على ربِّه وربِّ كل نفس في الوجود : (من الكامل)

ـهِ نِعمتُنـــــــا تَبـــــــارك رَبُّنـــــــا   الأَنـــــــامِ ورَبُّ مَـــــــن يتأبَّـــــــدُ [١]

وقال أبو طالب يمدحُ النبيَّ 6 ، ذاكراً الله تعالى بما يختصُّ به : (من البسيط)

ـــتَ الرســـولُ رســـولُ اللهِ نَعلمُـــــهُ   عليـــكَ تَنَـــزَّلُ مِـــن ذي العِـــزَّةِ الكُتُـــبُ [٢]

فهو يؤمن بأنَّ محمداً 6 رسولُ الله ، وأنَّ القرآنَ الكريم قد أُنزل عليه من عنده سبحانه .

ومن توحيد الأسماء والصفات ،يَعدِّدُ أُميةُ مِن أسماء الله الحسنى التي كانت العربُ تعرفها قبل الإسلام [٣]: (من المنسرح)

الخالقُ البارئُ المصورِّ في الـ   أَرحامِ ماءً حتى يَصيرَ دَمَا [٤]

وفي عتابٍ عائليّ حار ، يَفخَرُ أبو طالبٍ بما هُمْ عليه مِن رِفعةٍ ومَجد هما من فضل إله العباد الواحد : (من الطويل)

ـصٌّ خُصوصاً عبدَشَمسٍ ونَوفلاً   ـا نَبـذانَا مِثـلَ مـا نُبِـذَ الجَمْــرُ [٥]

بِمـا ذاك إلاّ سُـؤدَدٌ خَصَّـنا بــه   ـهُ العبـادِ واصْـطفانا لَـهُ الفَخْـرُ [٦]

فأقسـمتُ لا يَنْفـكُّ مِـنّكم حـاذِرٌ   ـحاذِرُنـا مـا دامَ مِـن نَسْـلنا شَـفْرُ [٧]

يقول : إن عداءهم إيانا وتحامُلَهم علينا، لم يكن لجريرة ، وإنما جَرَّهم إليه حسدُهم على شرفنا الذي اختصَّنا الله به دونهم، فله الحمدُ على هذه النعم التي لا تصدر إلاّ عنه ، فلا يضيرُ هذا الحسد أحداً ولكن الشاعرَ يخاف توريثَ العداء [٨] .

---

[١] يتأبد :يتوحَّش ، لكن (مَن) لا تدخل على الحيوان غير الناطق ، وهذا من فساد التقسيم وهو من عيوب الشعر .
ينظر: نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص١٩٤ .
ديوان أمية ، ص٥٧ .

[٢] ذو العزة : صاحب الغلبة والقوة .
ديوان أبي طالب ، ص٢٥٤ .

[٣] يُنسب البيت إلى النابغة الجَعدي ، أيضاً .

[٤] أمية ، ص٣٦٥ .

[5] الجمر ؛ جمع جمرة :قطعة النار الملتهبة ، ويَصحّ أن يكون المراد بالجمر :الحصى الذي تُرمى به الجَمَرات .

[٦] ذاك : إشارة إلى "النبذ" في البيت السابق .

[٧] لا ينفك : لا يزول . شفر : أحد .
غاية المطالب ، ص٨٦ – ٨٧ .
وورد البيت الأول والثالث في ديوان أبي طالب ، ص٨١ .

[٨] كان لعبد مَناف بن قُصي أربعة أولاد : هاشم والمطلب وعبدُ شمس ونَوفل ، فكان بنو المطلب مصافين لبني هاشم.
أما بنو عبد شمس وبنو نوفل فكانوا مخالفين لهم ، وموافقين لسائر قبائل قريش ، بل تألَّبوا معهم على بني هاشم .

وكانوا يُقسمون بالله في عظائم أُمورهم ، فيحمل معاني السُّمّوِّ والصدق والخطر ..قال الأعشى الكبير يهجو عَلقمةَ بنَ عُلاثة في المنافرة التي جرت بين الأخير وبين عامر بن الطُّفَيل : (من السريع)

سِمُ بِاللهِ لَئنْ جاءَهُ　　　ي أذىً مِنْ سَامِعٍ خابِرِ [١]

خاتَمُ الأنبياء :

ويَمرُّ أبو طالب برسول الله 6 وهو يُصلِّي وعليٌّ عن يَمينه وجعفر مع أبي طالب يكتمُ إسلامه ، فضرب عَضُدَه قائلاً إذهب فصِلْ جناحَ ابن عمك ، وقال : (من المنسرح)

واللهِ لا أَخذلُ النبيَّ ولا　　　يَخذُلُهمِن بَنِيَّ ذو حَسَبِ [٢]

وقال يدعو النبيَّ 6 أن يصدعَ بدعوته : (من الكامل)

واللهِن يَصِلوا إليكَ بِجَمعهم　　　حَتَّى أُوسَّدَ في التُّراب دَفينَا
ودعوتَني وزعمتَ أَنَّك ناصحٌ　　　هقد صَدقتَ ، وكنتَ قَبلُ أمينَا
وعرضتَ ديناً قد علمتُ بأنَّهُ　　　ن خير أديانِ البريَّةِ دِينَا [٣]

ففي هذه المواطن الكريمة والمواقف الكبيرة ، يكون القَسَمُ باللهالعظيم ربِّ العالمين ، لتوكيد النُّصرة العزيزة ، ثم استحالة ترك النبي 6 لأعدائه المشركين ما دام أبو طالب حياً ، ثم يمدح الرسولَ الكريم 6 ودينَه القويم ..

وحينما تذكَّر أميةُ يوماً سرَّهُ ، قال : (من الكامل)

للهِ يومٌ بالبريم قطعتُهُ　　　بِمَسَرَّةٍ دراتْ به أفلاكُهُ [٤]

فأطلقَ لفظَ الجلالة ، سامياً به ، كما قال في مدح سيف بن ذي يَزَن ، بعد انتصار جيشه على الحبشة(5) : (من البسيط)

ِ درُّهُمُ من فِتيةٍ صَبَروا　　　ا إنْ رأيتُ لهمْ في الناسِ أمثالاَ [١]

---

[١] ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق محمد محمد حسين ، ص١٩٥ .
وسيُشار إلى هذا المصدر لاحقاً بـ(ديوان الأعشى) .

[٢] ديوان أبي طالب، ص٦٤.

[٣] م . ن ، ص٨٣ .

[٤] البريم : موضع بنجد، (معجم البلدان) . الأفلاك : جمع فلك وهو قطع الأرض المستديرة التي ترتفع عما حولها .
ديوان أُمية ، ص٩٤ .

(5) يُنسب البيت إلى أبيه أبي الصَّلت والى جَدِّه أبي زمعة ، أيضاً .

وهكذا تظهرُ وحدةُ العرب في المُهمّاتِ ومواجهة المخاطر والأعداء ، والانتصار عليهم ، كما هم مُوحَّدون في دينهم الحنيف .

وقال الأعشى في مُقدمة مدحه النبي 6 : (من الطويل)

ـباب وشيبٌ وافتقارٌ وثروةٌ فللَّهِ هذا الدَّهرُ كيف تَرَدَّدَا [٢]

فلا شيءَ دائمٌ في هذه الدنيا ، ولا شيء يبقى على حال ..

وقال أبو طالب يَحضُّ ابنَ أخيه ربيعةَ بن الحارث بن عبد المطلب على نصر النبي 6: (من الكامل)

درُّكَ أنْ عرفتَ مكانَهُ في قومِهِ ووَهبتَ منك له يَدَا [٣]
ـا عليٌّ فارتَبَ تْهُ أُمُّهُ ونَشا على مِقةٍ له وتَزيَّدَا [٤]
ـرُفَ القيامةَ والمَعادَ بِنَصرِهِ وبِعاجِلِ الدنيا يَحوزُ السُّؤددَا [٥]

لقد أحسنتْ أمُّ عليٍّ القيامَ على وليدها حتى أدرك عارفاً مَقامَ رسول الله 6 ،فبذلَ له نفسَه وقام بخدمته خيرَ قيام ؛ حتى عَلاَ به في الدنيا والآخرة . يشير – هنا- إلى "القيامة والمعاد" ، وشرفهما الذي لا تجاريه الدنيا الفانية ..

ويدعو الأعشى لإياس بن قَبِيصةَ الطائي : (من البسيط)

ـزى الإلهُ إياساً خيرَ نعمتهِ كما جزى المرءَ نُوحاً بعدما شابَا
في فُلكهِ إذ تَبدَّاها لِيَصنَعها وظلَّ يجمعُ أَلواحاً وأبوابَا [٦]

إذ يتجلَّى يقينُ الشاعر بحُسن جزاءِ الله تعالى لِنبيِّهِ نوح 7 ، فيُمثِّلُ به وبسفينته التي صنعها للمؤمنين .

وقال أبو طالب يُحرِّضُ على نُصرة رسول الله 6 : (من الطويل)

جزى اللهُ عنَّا عبدَ شمسٍ ونَوفلاً وتَيماً ومَخزوماً عُقوقاً ومَأْثمَا [١]

---

[1] ديوان أمية ، ص١٧٥ .

[2] ديوان الأعشى ، ص١٨٥ .

[3] لله درك : لله عملك، (القاموس المحيط) .

[4] ارتبته :ربّته أمه ؛ فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً فولدت له ، وكان رسول الله 6يقول : [**هي أُمي بعد أُمي**] . المقة : المحبة . تزيد : تكثَّر من هذه المحبة .

[5] ديوان أبي طالب ، ص٢٦٧ .

[6] تبداها : بدأها وأنشأها .

ديوان الأعشى ، ص٤١٥ .

فريقهمْ مِن بعد وُدٍّ وأُلفَةٍ   جَماعتَنا كَيما يَنالوا المحارِمَا (٢)

ذبتمْ وبيتِ اللهِ يُبزَى مُحمَّدٌ   ولمَّا تَورْاَ يوماً لدى الشِّعبِ قائمَا (٣)

فالله تعالى هو الذي يُجازي بعدله وقُدرته الآثمين العاقّين الذين فرّقوا الجمعَ وأبعدوا الأُلفة وأزالوا الودَّ بينهم ، فقد عصَوا الله تعالى باقترافهم ما حرّمَ من أعمال .. ثم يكذبهم مُطمئنا بقَسَمه ببيت الله العتيق ألا يُقهَروا عليه 6 ، فمَن كان مع رسول الله 6 كان مع الحق؛ إذن فنَصرُه حتمٌ .. أوَليس بالإمكان تلمّسُ علاقة القيم الخلقية بالقيم الروحية والدينية التي يكون التوحيدُ عمودَها الفقري (٤) ؟.

وفي هذا السياق يخاطبُ أبو طالب عشيرةَ ذاكراً ظلمَهُم وعقوقهم ، متوجهاً إلى الله تعالى ، مُستشفعاً باسمٍ من أسمائه الحسنى : (من الوافر)

إلى الرَّحمن ، والكرمِ استذمُّوا   وكلُّ فَعالِهمْ دَنِسٌ ذَميمُ
الوا خُطَّةً جَوْراً وحُمقاً   ضُ القولِ أبلجُ مستقيمُ (٥)
لِنُخرجَ هاشماً فيصيرُ منها   بَلاقعَ بطنُ زَمزمَ والحَطيمُ (٦)
لا والراقصاتِ بكلِّ خَرْقٍ   ى مَعْمورِ مكةَ ، لا نَريمُ (٧)

إذ فعل أولئك ما يَذُمُّهم الرحمنُ عليه والكرم ، فهو يحاججهم بما يُوحيه إليه دينُه الحنيف وخلقه السائر، مؤكداً صمودهم وبقاءهم في ديارهم.

وقال الأعشى فيما كان بينه وبين بعض قومه : (من الطويل)

---

[١] عبد شمس ونوفل وتيم ومخزوم ؛ أحياء من قريش .

[٢] المحارم ؛ واحده: محرمة بضم الراء وفتحها ، أو محرم بالفتح .

[٣] يُبزى : يُغلب ، مجهول من بزى الرجل أو أبزى به . اليوم : الحرب . الشعب: شعب أبي طالب الذي حصرتْهم قريش فيه . قائماً : واقعاً .
ديوان أبي طالب ، ص٧٢-٧٣ .

[٤] قصة القصيدة ، في البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٩٣/٣ .

[٥] الخطة : الأمر والقصة .

[٦] بلاقع : جمع بلقع وبلقعة ، وهي الأرض الخالية التي لا شيء فيها . الحطيم : جدار الكعبة ، بين الحجر إلى مقام سيدنا إبراهيم 7 وهي خمسة وعشرون ذراعاً ، سمي الحطيم ؛ لأنه يَحطِمُ الذنوبَ أي يُسقطها ، وقيل : لأنه حطمٌ من البيت ، وقيل : لأن من حلف هناك كاذباً انحطم دينه ودنياه .

[٧] الراقصات الإبل التي تسير خَبَباً ، خَطوٌ فسيح دون العنق . الخرق : القفر ، والأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح . معمور مكة : البيت الحرام . لانريم : لا نبرح .
غاية المطالب ، ١٤٩-١٥١ .
وينظر: ديوان أبي طالب ، ص١١٣-١١٤.

جَزى اللهُ فيما بَيننا شَيخَ مِسْمَعٍ   جَزاءَ المُسيءِ حيثُ أَمسى وأَشرقَا [(١)]
جَزى اللهُ تَيْماً مِن أخٍ كان يَتَّقي   مَحارمَ تَيْمٍ ما أخفَّ وأَرهَقَا [(٢)]

يتمثّلُ في هذين البيتين الحرصُ على صِلةِ الرَّحم أنصعَ تمثيل .

ويعاتبُ الشاعرُ بني سعد بن قيس بقوله : (من الطويل)

هنالكَ لا تَجزونَني عند ذاكُمُ   ولكنْ سيَجزيني الإلهُ فَيُعقِبَا [(٣)]

مخاطباً أبناءَ عمومته ؛ أنّه ليس بحاجةٍ لأحد منهم ، ليجزيه على بذله مالَه للجميع ، ووفائه بدفاعه عن أعراض ذوي قرابته ، إذ لم يُذكِّر بمكافأةٍ من أحد ، لأن عمله الكريم هذا لا يَضيعُ لدى المجازي الحقّ إله الجميع .

وفي هذا السياق يُؤكّدُ للنعمان بن المنذر : (من الطويل)

فلا تَحسَبَنّي كافراً لكَ نِعمةً   عليَّ شهيدٌ شاهدُ اللهِ فاشْهَدِ [(٤)]

وهل بعد أن أشهدَ اللهَ سبحانه ، من شكٍّ في دعواه ؟

وقال أبو طالب في مدح الخمسة الذين تحالفوا على نقض الصحيفة : (من الطويل)

أَلا هل أَتى بَحرِيَّنا صُنعُ ربِّنا   على نأْيِهمْ ، واللهُ بالناسِ أَرودُ [(٥)]
فيُخبرَهمْ أَنَّ الصحيفةَ مُزِّقتْ   وأَنْ كلُّ ما لم يَرضَهُ اللهُ يُفسَدُ [(٦)]
جَزى اللهُ رَهطاً بالحَجون تتابعوا   على مَلإٍ يَهدي لِخَيرٍ ويُرشِدُ [(٧)]

متمنياً إبلاغَ مَن هاجرَ إلى الحبشة من الصحابة ؛ بما شملهم الباري Y به من خَيرٍ ظاهر عجيب ، فالخوارق والمعجزات لا يقرُّ على إنفاذها غيرُ جلّتْ قُدرتُه ، لذا فالشاعر على يقين بأنَّ ما حصل

---

(١) شيخ مسمع : هو شيبان بن شهاب الجحدري ، ومسمع : ولده ؛ جد المسامعة . أمسى : دخل في المساء، أشرق : دخل في شروق الشمس .

(٢) تيم ؛ من قيس بن ثعلبة . من أخ : يعني نفسه وقومه . محارم تيم : حرمتهم وقرابتهم . ماأخفّ : تعجب من خفتهم وطيشهم . أرهق من الرَّهَق؛ السّفَه وركوب الشرّ وغشيان المحارم .
ديوان الأعشى ، ص٣٨٧ .

(٣) أعقبه : جازاه بخير .
ديوان الأعشى ، ص١٦٧ .

(٤) ديوان الأعشى ، ص٢٤٣ .

(٥) البحريّ : المنسوب إلى البحر. أرود : غالب على أمره ؛ أرفق .

(٦) يُفسَدُ :يتلفُ .

(٧) الحجون : جبل بِمَعلاة مكة .
ديوان أبي طالب ، ص١٣١-١٣٢ .

هو من صنُع ربِّ العالمين ، وهو مسرورٌ بأنَّ الله تعالى قد مَحقَ الفسادَ والظلم ، ولابدَّ أن يجزي الخيِّرينَ خيرَ الجزاء .

ويُضيف في شأن هذا الرَّهط الكريم : (من المتقارب)

قى اللهُ رَهطاً هُمُ بالحَجو   قيامٌ ، وقد هَجَعَ النُّوَّمُ (١)

دى رجلٍ ، مُرشِدٌ أَمرُهُ   إلى الحقِّ يَدعو ويَستعصِمُ (٢)
فلولا حِذاري ثَنا سُبّةٍ   يُشيدُ بها الحاسدُ المُفعَمُ (٣)

ورهبةَ عارٍ على أُسرتي   ذا ما أَتى أرضَنا الموسِمُ (٤)
لَتابعْتُهُ غيرَ ذي مِرْيةٍ   و سِيءَ ذو الرأيِ والمُحرَمُ
كقولِ قُصيٍّ : ألا أقصروا   ولا تركبُوا ما بِهِ المأثَمُ (٥)
فإنَّا بِمكةَ قِدماً لنا   ا العِزُّ والخَطَرُ الأَعظمُ (٦)

فهو يسأل العليَّ القدير ، الخِصبَ والرَّفاهيةَ للقوم الذين قاموا بالحجون ، وهو في حال جميل ووصف نبيل يُدعو الناس إلى اتباعه بحاله قبل أن يَدعوَهم بمقاله ، لذلك يطلب من بني قصي الإقلاعَ عن فعل ما يأثمون به من أذى ذوي قرابتهم الأكرمين .

وهذه الصفات التي يتميز بها عبادُ الله ، من أين مصدرها ؟ يقول الأعشى مادحاً سلامةَ ذا فائش : (من المنسرح)

ستأْثرَ اللهُ بالوفاءِ وبالـ   ـدلِ وولَّى الملامةَ الرَّجُلاَ
ضُ حَمَّالةٌ لِمَا حَمَّلَ الـ   لّوهُما إنْ تَرُدُّ ما فَعَلاَ (٧)

---

(١) الرهط : ما دون العشرة من الرجال . هجع : نام ليلاً .
(٢) الحق : الله ، وما أمر به . يستعصم : يطلب العصمة ؛ الحفظ والمنع من المخالفة .
(٣) الثناء :ما أخبرتَ به عن الرجل من حسن أو سيء ، والمراد : السيء لحذاره . يشيد : يُفشي ، أشاد عليه مكروهاً: أفشى ، وأشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه ، (ينظر: أساس البلاغة) . المفعم : الممتلئ غمّاً .
(٤) الموسم :المجتمع ، سمي به لأنه مَعْلَمٌ يجتمع إليه ، وأكثر استعماله لوقت اجتماع الحاج وسُوقهم في مكة .
(٥) ألا أقصروا : ردٌّ من أبي طالب ، أي : انتهوا يا بني قصي عما أنتم عليه . ركوب ما به المآثم : فعله .
(٦) الخطر : ارتفاع القدر والمنزلة .
غاية المطالب ، ص١٤٣-١٤٥ .
وينظر: ديوان أبي طالب ، ص١٣٥ و ٢٩٦ .
(٧) ديوان الأعشى ، ص٢٨٣ .

فقد خلق الله تبارك وتعالى الخلق على ما أراد واختار ، ثم خص ذاته المقدسة بالوفاء والعدل ، وهذه أمانةٌ يُلام من تخلَّى عنها ، فالأرض تحمل كلَّ شيء ، بأمره سبحانه ، كما يقول أمية : (من البسيط)

لكُمْ طَرُوقَتُهُ واللهُ يَرفعُها   فيها العذاةُ وفيها يَنبُتُ العَتَمُ (١)

قبلَ هِياج يوم ذي قار، يقول الأعشى لإياس بن قَبيصة الطائي: (من الرمل)

ئنْ رَبُّك مِن رَحمتِه   ف الضِّيفةَ عنَّا وَفَسَحْ
لَئن كُنَّا كَقومٍ هَلكوا   ا لِحَيٍّ يا لَقَومي مِن فَلَحْ (٢)
مَا نحنُ كَشَيءٍ فاسدٍ   فإذا أَصلَحَهُ اللهُ صَلَحْ (٣)

إذن الخيرُ وأسبابه والنجاةُ وعناصرُها ، والصلاحُ وعوامله مَصدرُ ذلك كله رحمةٌ من الله تعالى.

والخلاق العظيم ، هو المعبود الحقيقُ وحده ، فهو أحق بالعبادة من كل ما يأثر الناس من هذه التماثيل الظاهرة للعيان بخلاف مُبدع الكون الذي لا تُدركه الأبصار ، يقول أمية : (من الخفيف)

و أبدى مِن كلِّ ما يأْثرُ النا   أماثيلَ باقياتٍ سُفورَا
خلق النَخلَ مُصعداتٍ تَراهَا   قْصِف اليابساتِ والخضُّورَا (٤)
والتماسيحَ والثياتلَ والأ   لَ شتَّى والرِّئمَ واليَعفُورَا (٥)

صِواراً مِن النَّواشِطِ عِيناً   ونَعاماً خَواضِباً وحَميرَا (٦)
وأُسوداً عَواديا وفُيولاً   ذُباباً والوحشَ والخنزيرا
دُيوكاً تدعو الغرابَ لِصُلحٍ   يِّنَ أخرجَتْ وصُقورَا (٧)

---

(١) الطروقة : أنثى الفحل ، وأراد بها (هنا) : الأرض . العذاة : الأرض الطيبة التربة ، الكريمة المنبت . العتم : الزيتون البري .
ديوان أمية ، ص١١٨ .

(٢) الفلح : البقاء والنجاة والفوز ، أو هو الفلاح حذفت الألف للشعر .

(٣) ديوان الأعشى ، ص٢٨٧ .

(٤) تقصف ؛ يقال للنبات إذا طال حتى أغنى : قصيف . الخضور : يقال للشجر الرخص إذا قطع وخضر .

(٥) الثياتل : جنس من البقر الوحشي ، وقيل : الوعل . الأيل : ذكر الوعل . اليعفور : الرئم .

(٦) الصوار : قطيع البقر الوحشي . النواشط : التي تنشط من بلد إلى بلد . العين : الواسعات العيون . خواضب : جمع خاضب ؛ من النعام : الأحمر الساقين .

(٧) ديوان أمية ، ص٧١-٧٢ .

هذا يعني أنه يرفضُ عبادةَ التماثيل الجامدةالتي صنعها الإنسانُ بيده والتي لا نفعَ منها ولا ضرر ، ويدعو إلى عبادة الله ، لأنه وحده الذي خلق الإنسان والنبات والحيوان وكلَّ الوجود .

ويُحبِّبُ الأعشى إلى قومه من بكر بن وائل حِلفَ قيسِ بن معديكرب ، قائلاً : (من المتقارب)

إنَّ الإلهَ حَبَاكُمْ بِهِ   ا: اقْتَسَمَ القومُ أمراً كُبارا

ـاءَ الإلهِ فإنَّ الإلهَ يَسمعُ في الغامضاتِ السِّرارا [١]

وما أَيْبُلِيٌّ على هَيكلٍ   ـاهُ وصَلَّبَ فيهِ وصارا [٢]

ـراوحُ من صلواتِ المَليكِ طَوراً سُجوداً وطوراً جُؤارا [٣]

ـأعظمَ منه تُقىً في الحسابِ   النَّسَماتُ نَفَضْنَ الغُبارا [٤]

إنه لَنِعمةٌ من الله تعالى أن حباكم به ، وجعله من نصيبكم إجابةً لمناجاتكم .. ثم يُشيدُ بنقاء الممدوح وتُقاه ، الخالص الذي يسمو علىتهيدُّك راهبٍ دائم الصلاة في هيكله متضرعاً بالدعاء إلى الله تعالى..

ويخاطب أبو طالب ، النجاشيَّ أصحمة؛ حاثّاً إياه على إكرام المهاجرين الهجرة الثانية : (من الطويل)

تَعلَّمْ بأنَّ اللهَزادكَ بَسطةً   وأسبابخيرٍ كلُّها بِكَ لازبُ [٥]

فالخُلقُ كما هو الخَلق من أمر الله تعالى وفضله.

ويُقرر أمية : (من البسيط)

ـنْ يَطمسُ اللهُ عينَيهِ فليس لهُ   ـورٌ يُبِينُ بهِ شَمساً ولا قَمَرا[١]

---

[١] السرار :المناجاة ، مصدر سارّ على وزن فاعل .

[٢] أيبلي : صاحب أيبل ، وهي العصا التي يُدق بها الناقوس . الهيكل :موضع في صدر الكنيسة يُقرَّب فيه القربان . صلّب :صوّر فيه الصليب . صار : سكن .

[٣] راوح بين العملين : تداول هذا مرة وهذا مرة . جأر إلى الله : تضرع بالدعاء .

[٤] النسيم : نفس الريح ؛ إذا كان ضعيفاً ، وأولها حين تقبل بِلين قبل أن تشتدَّ .
ديوان الأعشى ، ص٩٩ – ١٠٣ .

[٥] تعلم : اعلم . البسطة : السّعة . لازب : ثابت .
ديوان أبي طالب ، ص١٤٥ .

وقال الأعشى يمدح إياسَ بنَ قَبيصة : (من الطويل)

ـوُمُّ إياساً إنَّ ربي أبى لَهُ　　ـدَ الدَّهرِ إلاَّ عِزَّةً وتكرُّمَا (٢)
مَاهُ الإلهُ فَوقَ كُلِّ قبيلةٍ　　أباً فأَباً يأبى الدَّنِيَّةَ أَيْنَمَا (٣)
ـم يَنتكسْ يوماً فَيُظلِمَ وجهُهُ　　ـِيَركبَ عَجزاً أو يُضارعَ مَأثَمَا (٤)
و أَنَّ عِزَّ الناسِ في رأسِ صخرةٍ　　مُلَمْلَةٍ تُعيي الأرَحَّ المُخَدَّمَا (٥)
طاكَ رَبُّ الناسِ مفتاحَ بابِها　　ـو لم يكنْ بابٌ لأَعطاكَ سُلَّمَا (٦)

لقد رفعه الله تعالى إلى درجةٍ أنه لو اجتمع عزُّ البشر في صخرة ملساء تَزَلَقُ فوقها القدمُ ، بل تُعجِزُ الوعلَ المنبسط الظلف لسهَّلَ له الباري رُقيَّها إذن فقد قَدَّر له ربُّ العالمين ، العِزَّةَ والكرامة الفائقة، وسوَّده على القبائل، فجعله ابيا لا يقع في خطا ولا يرتكب ما يشين ولا يقرب إثما ، وليس هذا كله على الله بعزيز ، فعطاء ربِّ الناس لا يحدُّهُ حدٌّ ولا يُعجزه شيءٌ ، فهو الكريم القدير ..

تمجيد المنعم :

ومن نِعم الله تعالى ، تعدُّدُ ألسِنةِ الناس والحيوان ، يقول أمية : (من الكامل)

ـوَحشَ والأَنعامَ كيف لُغاتُها　　إلعِلمَ يُقْسَمُ بينهم ويُبَدَّدُ (٧)

فالله تعالى هو الذي يَقسِمُ العلمَ بين الخلائق كما قسمَ الأرزاق .

يُقدِّرُ اللهُ ما يشاءُ من مجدٍ وعزٍّ في ذُرِّيّة الإنسان ، كما يقول أبو طالب في رثاء أخيه الزُّبير : (من الخفيف)

جَعَلَ اللهُ مجدَهُ وعُلاهُ　　في بَنيهِ - نَجابةً - والبناتِ (٨)

وعندما يتذكَّرُ أميةُ ، دارَ أبيه عبد الله، يخاطبُ نفسَه : (من البسيط)

---

(١) ديوان أُمية ، ص٦٨ .

(٢) ورويَ :تيمَّمُ قيساً ، في مدح قيس بن معديكرب .

(٣) نماه الإله : رفعه

(٤) انتكس : وقع على رأسه ضَرَعَ من الشيء : دنا منه ، يضارع مأثماً : يقارب إثماً .

(٥) ململمة : مدورة مجتمعة. المخدم :المُجمَّل الذي يستدير التحجيل بأرساغ رجليه دون يديه ، والتحجيل : بياض يحيط بالأرجل .

(٦) ديوان الأعشى ، ص٣٤٧.

(٧) ديوان أُمية ، ص٥٧ .

(٨) مجده ؛ الهاء يعود على الزبير .
ديوان أبي طالب، ص٢٦٢ .

ـا نفـس ُ مالَـكِ دون اللهِ مـن واقِ ـا علـى حَـدَثانِ الـدَّهرِ مـن بـاقِ (١)

فَمَن لا يَقيه اللهُ سبحانه ، يَبلى ولا يَبقى إلا اللهُ تعالى .

وفي مدح هَوذَةَ بنِ عليٍّ الحَنفي ، يُؤكد الأعشى قُدرةَ الله وتوفيقَه في حسم الأمور : (من المتقارب)

ـَّا لُقِيـتَ مـع المُخطِـرينْ وجـدتَ الإلـهَ علـيهم قـديْرَا (٢)
ـِن نَسْـجِ داودَ مَوضُـونةً ـاقُ مـع الحَـيِّ عِيـراً فَعِيـرَا (٣)

فكان اللهُ قادراً علىأَنْ يُذيقَهم بأسَكَ ، ويُعينك عليهم ، وهنا يَحلو للشاعر أن يُمثِّلَ دُروعه بنسج داود المبارك؛ تفاؤلاً بالنصر .. 7

وإذا جرت الأمورُ بغير ما يشتهي المرءُ، فهو يرضى بالقضاء ، كما يقول أُمية : (من البسيط)

جـري الأُمـورُ علـى وِفـق القضـاءِ وفـي ـيِّ الحـوادثِ محبـوبٌ ومكـروهُ (٤)

فإرادةُ الله هي النافذة كما يقولُ الأعشى ، في هجاء سعدِ بن قيس : (من مجزوء الكامل)

ءَلمـتُ أنَّ اللهَ عَمْـ ـداً حَسَّـها وأَرى بهـا (٥)

فالله تعالى هو الذي أراد بهؤلاء القوم الهلاكَ ، وجعلهم مُثْلَةً للناس .

وعندما يمدحُ الأعشى ، قيسَ بن مَعديكرب ، يُشيرُ إلى حكمة خلق الله وتَدبيره : (من الكامل)

ـرُ مَـنْ جَعـلَ الشُّـهورَ علامـةً ـدَراً فبـيَّنَ نصْـفَها وهِلالَهَـا
ـتَ المقـدَّمَ غيـرَ لابـسِ جُنَّـةٍ سَّـيفِ تضـربُ مُعلِمـاً أبطالَهَـا (٦)
مـتَ أنَّ الـنفسَ تَلقـى حَتفَهـا ـا كـانَ خالقُهـا المَليـكُ قضـى لَهَـا (٧)

---

(١) حدثان الدهر وحوادثه : نُوبُه ومصائبه .
ديوان أُمية ، ص٩١ .

(٢) المخطرين : أقرانه المبارزين .

(٣) موضونة : درع منسوجة بعضها على بعض . تساق : تحمل ويرسل بها .
ديوان الأعشى ، ص ١٤٧-١٤٩ .

(٤) ديوان أمية ، ص١٤٩ .

(٥) حسها : أهانها واستأصلها . أرى بها : جعل الناس يرون بها ذلك .
ديوان الأعشى ، ص٣٠٧ .

(٦) الجنة :الترس ، لأنه يَجنُّ صاحبه ؛ يُخفيه ويستره . أعلمه : جعل عليه علامة بالطعن والجروح .

(٧) ديوان الأعشى ، ص٨١– ٨٣ .

فقد أقسمَ الشاعرُ بمَرِّ الشهورِ ومواقيتَ ؛ أنَّ قيساً كان مُوقتاً بأجَلِ اللهِ وقضائهِ النافذ .

ويُسلِّمُ أُميةُ إلى الباري جلّ وعلا تَسليمَ المؤمن العارف : (من الخفيف)

وله الدِّينُ واصباً وله المُلْ   وحَمدٌ له على كلِّ حالِ [1]

وهذا يُماثلُ قولَه تعالى **(وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ)** [2]
[2] .

وفي مَعرض مَدح قيسِ بن معديكرب الكِندي ، يقولُ الأعشى إنَّ العليمَ الحكيم خيرُ مُعوِّضٍ للإنسان عمّا فاته : (من المتقارب)

ولكنّ ربِّي كفى غُربَتي   بحمدِ الإلهِ فقد بلَّغنْ [3]

إنهم يعرفون فضائلَ الله تبارك وتعالى ، ونِعَمهُ التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ، لذا هم دائمو الحمد والشكر والثناء عليه سبحانه .

ويتحدثُ أُميةُ في الاتجاه نفسه: (من الكامل)

الحمدُ للهِ الذي لم يتَّخذْ   لداً وقدَّرَ خَلْقَهُ تقديرا
عَنَا لَهُ وَجهي وخَلْقي كلُّه   ي الخاشعينَ لوجههِ مَشكورا
وأعوذُ باللهِ العليِّ مكانُهُ   ي العرش لم أعلمْ سواهُ مُجيرا
ن حَرِّ نارٍ لا يُفَتَّرُ عنهمُ   هْناً أُعدَّت للظَّلومِ مَصيرا [4]
فيها السَّلاسلُ والعذابُ لِمَنْ طغى   دعونَ فيها حَسرةً وثُبورا [5]
لا يَسمعُنَّ حَسيسَها يا ربَّنا   يوماً تعيَّطُ شهقةً وزفيرا [6]

قد يَأمرونَ القسطَ في أعمالهمْ   يُظلمونَ لذي الحسابِ نَقيرا [7]
اغفرْ ليَ اللهُمَّ ذنبي كُلَّه   إمّا بليتَك يومذاك فَقيرا [1]

---

[1] واصباً : دائماً .
ديوان أمية ، ص١٠٧ .

[2] سورة النحل ، ٥٢/١٦ .

[3] ديوان الأعشى ، ص٦٩.

[4] الوهن : الضعف .

[5] الثبور : الهلاك .

[6] تعيط : طال، من تعيَّطت العنق : طالت .

[7] النقير : النكتة في النواة .

فهو يبدأ قصيدتَهُ بتوحيد الله ، كما جاء في الآية الكريمة: [الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً] [2] ، وهكذا يرسمُ صورةً متكاملة للإيمان بالوحدانية، يُصوِّرُ النارَ التي تنتظرُ الآثمين في الآخرة ، حيث تكون الرِّياحُ سريعةً تَحملُ معها دقائقَ الرمال ، والظالمون يتحسَّرون في العذاب المُهين الذي استحقُّوه بعد حساب عادلٍ دقيق، وأخيراً يطلبُ الغفرانَ ممن لا غافرَ سواه .

ويرُدُّ أبو طالب شرَفَ قومه وما هُم فيه من مَقام رفيع إلى فضل الله تعالى ، فَيَحمَدُهُ مُفتخراً : (من الرجز)

الحمدُ لله الذي قد شَرَّفَا
قَومي ، وأعلاهم معاً وغَطرَفَا [3]
ـد سَبقوا بالمجدِ مَن تَعرَّفَا [4]

مجداً تليداً واصلاً مُستطرَفَا [5]

فمجدهمُ القديمُ الذي ورثوه قد وصلوه بمجدٍ جديد تخلِّدُهُ مآثرُهم الفذة وسيادتُهم الراهنة، ولا يَنسى الشاعرُ تزويقَ شعره من الأماكن الزاكية التي تهفو إليها أفئدةُ العباد المؤمنين .

ويعودُ أمية إلى حَمدِ الله تعالى ، ربِّ الحنيفة على نعمائه في الدنيا والآخرة،ويتحدَّثُ عن الموت الذي هو حقٌّ وعن الإيمان والحج الذي هو ركنٌ من أركان دين الله : (من البسيط)

الحمدُ لله مُمسانَا ومُصبَحنَا … ـالخيرِ صَبَّحنا ربِّي ومَسَّانَا
ـبُّ الحَنيفةِ لم تَنفَدْ خزائنُها … مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سلطانَا
أَلاَ رسولٌ لنا منَّا فَيُخبِرُنَا … ـا بُعدُ غايتِنا مِن رأسِ مُجرانَا
وقد علمنا لَوَ انَّ العلمَ ينفعُنا … ـْ سوفَ تُلحَقُ أُخرانا بأُولانَا
ـا ربُّ لا تجعَلنِّي كافراً أبداً … إجعلْ سريرةَ قلبي الدهرَ إيمانَا
واخلطْ بهِ بِنيَتي واخلطْ بهِ بَشَري … واللَّحمَ والدَّمَ ما عُمِّرتُ إنسانَا

---

[1] ديوان أمية ، ص٦٩ .

[2] سورة الفرقان ، ٢/٢٥ .

[3] غطرف : جعلهم أسياداً ، والغِطريف : السيد الشريف .

[4] تعرف : أتى عرفات .

[5] ديوان أبي طالب ، ص٢٨٣.

إنِّي أعوذُ بمَن حَجَّ الحَجيجُ لهُ   رافعونَ لِدينِ اللهِ أركانَا
مُسَلِّمين إليهِ عندَ حَجِّهِمُ   لم يبتغوا بثوابِ اللهِ أَثمانَا (١)

اقرا البيتَ الأول وانظر إلى قوله: [فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ] (٢). وهكذا يمضي أُميةُ على هذا النسق الإيماني الواضح في سائر الأبيات التي يتمنى فيها أن يبعثَ اللهُ رسولاً من الأموات لِيُخبرَ بحقيقة مدة إقامة الإنسان في البَرزخ لحين النُّشور. ثم يبتهل إلى الله العلي أن يُثبِّتَ قلبَهُ على الإيمان ، مشيراً إلى إيمان الحُجّاج وتسليمهم إليه جَلَّ وعلا.

وعلى طريق الإيمان هذا ، يقول الأعشى في الحرب التي كانت بينه وبين الحُرقَتينِ ، وقد ذكر شيئاً من نُسُك النصارى : (من الطويل)

فإنِّي بِحمدِ اللهِ لم أفتقدْكُمُ   إذا ضَمَّ هَمَّاً إليَّ حُلُولُهَا (٣)
وإنِّي وربِّ الساجدينَ عَشِيَّةً   وما صَكَّ ناقوسَ النَّصارى أَبيلُهَا (٤)
أُصالِحُكُمْ حتَّى تَبُوؤوا بِمِثلِها   كصَرخةِ حُبلى يَسَّرَتْها قَبُولُهَا (٥)

الإشارة إلى رُسُل الله :

وفي قصيدة طويلة ، يُثني أميةُ على مَلِكِ الملكوت الثناءَ العطرَ ، ويدعوه وحده لا شريك له، ويُندِّدُ بمن يعتقدُ بالجن ، ثم يذكرُ أنبياءَ الله؛ موسى وهارون ويونس ، ويُشيد بجهادهم في سبيل الله وضد أعدائه ويُشير إلى معجزات الله تعالى؛ رحمةً برسله وعباده الصاحين (٦) : (من الطويل)

إلى اللهِ أُهدي مِدحَتي وثَنائيَا   وقولاً رَصيناً لا يَني الدَّهرَ باقِيَا (٧)
إلى المَلِكِ الأَعلى الذي ليس فَوقَهُ   إلهٌ ولا ربٌّ يكونُ مُدانيا
وأَشهدُ أَنَّ اللهَ لا شيءَ فوقَهُ   عليا وامسى دكرَه مَتعاليَا
أَلا أيُّها الإنسانُ إِيَّاكَ والرَّدى   فإنّك لا تُخفي مِنَ اللهِ خافيَا
وإيّاكَ لا تجعلْ معَ اللهِ غيرَهُ   فإنَّ سبيلَ الرُّشدِ أصبحَ باديَا
حنانَيكَ إنَّ الجِنَّ كانت رجاءَهُمْ   وأنتَ إلهي ربَّنا ورجائيَا (٨)

---

[١] ديو ان أمية ، ص١٣٤-١٣٥ .
[٢] سورة الروم ، ١٧/٣٠ .
[٣] حلول : حالّ ، اسم فاعل من حلَّ المكان: نزل به .
[٤] الأبيل : الراهب ، من أَبلَت الإبل :إذا توحشت وانفردت ليس معها راعٍ .
[٥] تبوؤوا : تعودوا . القبول : المرأة التي تستقبل الولد عند الولادة .
ديوان الأعشى ، ص٢٢٥-٢٢٧ .
[٦] تنسب القصيدة إلى زيد بن عَمرو بن نُفيل والى ورقةَ بن نوفل ، أيضاً .
[٧] الرصين : الثابت . لايني : لايفتر ولا يضعف .
[٨] حنانيك : حناناً بعد حنان ، ويجوز المراد هنا : حناناً في الدنيا وحناناً في الآخرة .

ضيتُ بِكَ اللّهم ربّاً فلن أرى   دينُ إلهاً غيرَك اللهُ ثانيا (١)

ينُ لِربٍّ يُستجابُ ولا أُرى   نُ لِمنْ لم يَسمعِ الدَّهرَ داعيَا
نتَ الذي مِن فضل مَن ورحمةٍ   بَعثتَ إلى موسى رسولاً مناديَا
فقال:أَعنِّي يا ابنَ أُمِّي فإنَّني   رٌ به يا ربُّ صِلْ لي جناحيَا
فقلتَ ليما اذهبْ وهارونَ فادعُوا   إلى اللهِ فرعونَ الذي كان طاغيَا(٢)
وقولا لهُ أأنتَ سوَّيتَ هذه   لا وتدٍ حتى اطمأنتْ كماهيَا (٣)
وقولا لهُ أأنتَ رفَّعتَ هذه   لا عمَدٍ أرفق إذن بكَ بانيَا
وقولا لهُ أأنتَ سوَّيتَ وسطَهَا   مُنيراً إذا ما جنَّهُ الليلُ هاديَا
وقولا لهُ مَن يرسلُ الشمسَ غُدوةً   صبحَ ما مسَّتْ من الأرضِ ضاحيَا
وقولا لهُ مَن يُنبتُ الحَبَّ في الثَّرى   صبحَ منه البَقلُ يَهتزُّ رابيَا (٤)
يُخرجُ منه حبَّهُ في رُؤوسه   وفي ذاكَ آياتٌ لِمن كان واعيَا
أنتَ بفضلٍ منكَ نجَّيْتَ يُونُساً   د بات في أضعافِ حُوتٍ لياليَا
فأنبتَ يَقطيناً عليه برحمةٍ   من اللهِ لولاالله أُلفيَ ضاحيَا (٥)
إنِّي ولو سبَّحتُ باسمكَ ربَّنا   لأُثرُ إلا ما غَفَرتَ خَطائيَا
ربَّ العبادِ أَلقِ سَيباً ورحمةً   عليَّ وباركْ في بَنيَّ وماليَا (٦)

يُلاحظُ في البيت الرابع أنه لايُحذِّرُ الإنسانَ من الموت ، وإنما يريدتُحذيرهَ مما يأتي به الموتُ ويُبديه ويكشفه من جزاء الأعمال، ويتداخلُ توحيد الرُّبوبية والألوهية مع توحيد الأسماء الصفات بوضوح في النصف الأول من القصيدة خاصةً . وهناك أبيات في القصيدة تتوافق مع آيات قرآنية كريمة مثل الأبيات الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، والآية الكريمة: (*اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ* *الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ*) (٧) . أما البيتان السادس عشر والسابع عشر فدلالتُهما كما جاء في الآية المُباركة : [ب ب

---

(١) يريد : يا الله ، وقد حذف يالنداء ، ولم يأتِ بالميم العوض بحسب القاعدة النحوية .

(٢) يا اذهب : على حذف المنادى ، كأنه قال : يا موسى اذهب .

(٣) هذه ؛ الأرض .

(٤) رابيا : ظاهراً على وجه الأرض .

(٥) اليقطين : نبات ليس له سيقان ، قيل: هو القرع ، أو شجر الدُّبَّاء . الضاحي المُعرَّض للشمس .

(٦) السيب : المطر والعطاء والمال .

ديوان أُمية ، ص١٩٤-١٩٧ .

(٧) سورة الرعد ، ٢/١٣ .

ٻ ٻ ٻ پٻ ڀ ڀ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺٺ ٺ ٿٿ ٿ ٿ] (١) . وفي البيتين الثامن عشر والتاسع عشر يذكرُ سيدَنا يونس υ لما أُخرجَ من بطن الحوت ، وأُلقي على الأرض الجرداء ، أنبت الله تعالى عليه شجرةَ القَرع ، حفظاً له ورحمة منه تعالى(٢)، كما قصّ سبحانه : [ۓ ۓ *ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ] (٣) ويَحمَدُ أبو طالب المَلكَ المُستغني في ذاته وصفاته عن كلّ موجود ، ويحتاج إليه كلُّ موجود : (من الوافر)

ليكُ الناسِ ليس له شريكٌ   هو الوهّابُ والمُبدي المُعيدُ (٤)
مَن تحتَ السماءِ له بِحقٍ   ومَن فوقَ السَّماءِ له عبيدُ (٥)

في البيت الأول يذكرُ ما طابَ من أسماء الله الحسنى ، مُشيراً إلى النشأتين الأولى والأخرى؛ وحَظّ العبد منهما استعمال حقائق الإيمان بالبعث فيما ينفع بعد الموت ، ويُستشفّ من البيت الثاني ، معنى الآية الكريمة: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً) (٦) .

ويَبرأُ أميةُ إلى ربِّ العالمين من خطايا البشر ، فهناك يومٌ يُسعَدُ فيه المُحسن ، ولا يَلومُ فيه المسيءُ إلا نفسَه : (من الوافر)

سلامَكَ ربَّنا في كلِّ فَجرٍ   بَريئاً ما تُغنِّثُكَ الذّمومُ (٧)
ادُكَ يُخطِئونَ وأنتَ رَبٌّ   بِكفَّيكَ المنايا والحُتومُ (٨)
داةَ يقولُ بعضُهُم لِبعضٍ   أَلا يا ليلَتَ أُمَّكَمُ عَقيمُ
لا تَدنو جَهَنَّمُ مِن بريءٍ   لا عدنٌ يَحُلُّ بها الأَثيمُ
ن الآفاتِ لستَ لها بِأهلٍ   ولكنّ المُسيءَ هو المَلومُ (٩)

وما ظلمهم اللهُ تعالى عن ذلك عُلوّاً كبيراً، ولكن الإنسان يَجني على نفسه بسيئاته .

ثم يُسبِّحُ الشاعرُ اللهَ سبحانه ، ويذكرُ طُوفان سيدِنا نوح 7 (١٠) : (من البسيط)

---

(١) سورة الأنعام، ٩٥/٦ .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٢١/٤ .
والفرج بعد الشدة ، التنوخي ، ١٨/١ ، وفيه أن أُمية قال هذا البيت قبل الإسلام .

(٣) سورة الصافات ، ١٤٥/٣٧- ١٤٦ .

(٤) الوهاب : كثير النعم ، دائم العطاء. المبدي : الخالق ابتداءً . المعيد : الخالق ثانياً .

(٥) غاية المطالب ، ص٧٣ .
وينظر: ديوان أبي طالب ، ص٤٨ .

(٦) سورة مريم ، ٩٣/١٩ .

(٧) سلامَك : سَلامنا ، منصوب على المصدر . تغنثك : تلتصق بك .

(٨) الحتوم : جمع حَتم: القضاء .وتُشَمُّ من البيت رائحةُ التجسيم .

(٩) من الآفات ؛ بريئاً ..
ديوان أمية ، ص١٢٣-١٢٤ .

(١٠) ينسب البيت إلى زيد بن عَمرو بن نُفيل والى ورقة بن نوفل ، أيضاً .

سُبحانَ ذي العرش سبحاناً يَدومُ لهُ   وقبلَنا سَبَّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ [1]

لقد مرَّتْ صفاتٌ حميدةٌ كثيرةٌ؛ متفرقة في القطع السابقة ، يفتخر هنا أبو طالب – في مقام شكواهُ ظلمَ قومه – بأنه من سيوف الله ، على طريق الرشُّد والفلاح الذي عَميَ عنه السُّفهاء ، ثم يتحدَّثُ عن الرسول الكريم 6 ومنزلتِهِ الجلية عند الله وعند عباده : (من الطويل)

لغْ على الشَّحناءِ أَفناءَ غالبٍ   يّاً وتَيماً عندَ نَصرِ الكرائمِ [2]
أنّا سُيوفُ اللهِ والمجدِ كلِّه   ا كان صوتُ القومِ وَحْيُ الغمائمِ [3]
ألم تعلموا أنَّ القطيعةَ مأثمٌ   وأمرُ بَلاءٍ قائمٌ غيرُ حازمِ
نَّ سبيلَ الرشُّدِ يُعلمُ في غدٍ   وأنَّ نعيمَ الدهرِ ليس بِدائمِ [4]
لا تَسْفَهَنْ أَحلامُكُمْ في مُحمدٍ   ولا تَتْبَعُوا أمرَ الغُواةِ الأشائمِ
فإنكمُ واللهِ لا تَقتلونَهُ   ولمّا تَرَوا قطفَ اللحى والغلاصمِ [5]
ينٌ مُحَبٌّ في العبادِ مُسَوَّمٌ   اتَمِ ربٍّ قاهرٍ للخواتمِ [6]
رى الناسُ بُرهاناً عليه وهَيبةً   وما جاهلٌ أمراً كآخرَ عالمِ
يٌّ أتاهُ الوَحْيُ من عندِ ربِّهِ   ومَن قال : لا يَقرَعْ بها سِنَّ نادمِ [7]

مؤكداً أن الناس يرون منظره 6 منظرَ الصادقين ، فهو دليل على صدقه؛ فيَهابُونه ، أما مَن نفى نبوّته ؛ فيندم حينما يتبين له الحق .

ويُحدّثُنا أميةُ عن المعايير الخُلُقية الثابتة عندهم التي أكدها الإسلام؛ لأنه دينُ الله منذ الأزل : (من الطويل)

ضلُ بِرٍّ أنتَ راجٍ ثوابَهُ   رَّةُ ذي قُربى بِرأفةِ آيبِ [8]

---

[1] الجودي : اسم جبل في العراق رست عليه سفينة نوح 7 . الجمد : اسم جبل بنجد .
ديوان أمية ، ص١٦١ .

[2] الشحناء ؛ يقال :شحنتُ عليه شحناً : حقدت وأظهرت العداوة . الأفناء : الجماعة، الواحد :فنوٌ . غالب ؛ ابن فهر.
لؤياً وتيماً ؛ بدل من أفناء .

[3] الوحي : الصوت ، يكون في الناس وغيرهم .

[4] السبيل : الطريق ، يُذكَّر ويؤنث . الرشد : ضد الغي .

[5] اللحى ؛ من إطلاق الحالّ وإرادة المحل ؛ اللَّحْي : منبت اللحية . الغلاصم : جمع غَلصمة : رأس الحُلقوم ، أو اللحم بين الرأس والعنق .

[6] الخواتم : جمع خاتم ، وهو ما يُختم به ، والمراد ؛ أصحابها .

[7] الوحي : كلام الله المنزل .
غاية المطالب ، ص١٥٦-١٥٨ .
وينظر: ديوان أبي طالب ، ص١٢٣-١٢٤ .

[8] ديوان أُمية ، ص٢٩ .

ويُظهِرُ في بيتٍ آخر ، مَلامحَ إسلاميةً بارزة : (من الخفيف)

المُطعِمونَ الطَعامَ في السَنةِ الأز ... ـمةِ والفاعلونَ لِلزكواتِ [1]

وحين موت عبد المطلب ، يَرثيه ابنُه أبو طالب واصفاً إياه ببَيت الدين ؛ لخصاله الكريمة وأعماله الجليلة في خدمة بيت الله وحَجيجه ، وعُلو مَقامه عند الجميع ، فكلُّهم أُصيبوا به وعليه ينوحون: (من البسيط)

ـكى العيونَ ، وأذرى دمعَها دِرَرَاً ... ـابُ شَيبةَ بيتِ الدينِ والكَرَمِ [2]
ـامرُ البيتَ بيتَ اللهِ يَملَؤهُ ... نُوراً فيَجلو كُسوفَ القَحطِ والظُلَمِ
ـفِراشِ بِصَحْنِ البيتِ تكرُمةً ... ـذاكَ فُضِلَ أهلُ الفَقرِ والقِدَمِ [3]
يكنْ زَينَ أَهلِ الأَرضِ كلِّهِمُ ... ـمةَ الخَلقِ مِن عادٍ ومِن أَرِمِ [4]

فقد عمَر بيتَ الله وملأه نوراً ، فانجلى الجدبُ وعمَّ الخصب أهلَه بتكرُّمه عليهم وكان زيناً للجميع وعصمة لهم من الباغين .

فكان يُحسن لأهل الأرض أجمعين ، لأنَّ دينَ الله لجميع عباده ، الذين خلقهم من آدم 7 أول أنبيائه ، إذ [كلُّكم لآدمَ وآدمُ من تُراب] [5] .

خُلُقُ الإسلام الواحد :

يُعدِّدُ أميةُ الخصالَ الكريمة السامية التي تنفعُ الإنسانَ في دنياه وأُخراه ، فإذا هي خصالٌ إسلامية : (من الطويل) .

ـصالٌ إذا لم يَحوِها المرءُ لم يَنلْ ... ـنالاً من الدُّنيا يَنالُ بهِ حَمدَا
يكونُ له جاهٌ وعِزٌّ وثَروةٌ ... ـسنُ فِعالٍ حيثُ أَحضرَ أو أَبدى
وتقوىً ، فإنَّ الفوزَ يُدرَكُ بالتُّقى ... ـورِثُ في الدَّارينِ صاحبَهُ مجدَا [6]

وهذا هو الإيمان بعينه ..

---

[1] ديوان أُمية ، ص٣٠ .
[2] أذرى :صبَّ دِرَرٌ جمع دِرَّة : دفقة .
[3] الفراش : كان يوضع لعبد المطلب بفِناء الكعبة ؛ يجلس عليه .
[4] العادي : الباغي .الأرِم : الآكل .
ديوان أبي طالب ، ص٢٩٩ .
[5] حديث شريف ، من خطبة الوداع .
[6] ديوان أُمية ، ص٣٨ .

وعلى العكس من ذلك ظهرَتْ قبلُ صفاتٌ ذميمة مُستكرهة تلبّستْ بعضَهم ، وهذه طائفةٌ من تلك التي يأباها الدينُ القويم .. فيما قال أبو طالب مُسَفِّهاً أحلامَ المشركين من قومه؛ إذ كان اعتراه هَمٌّ أقضّ عليه مَضجِعَه ؛ هو: (من الطويل)

لأحلامِ أقْوامٍ أرادوا محمداً   بِسُوءٍ، ومَن لا يَتَّقي الظُّلمَ يُظلَمِ
ذبتمْ وبيتِ اللهِ حتى تَعرّفوا   جماجمَ تُلقى بالحطيمِ وزمزَمِ [1]
على ما مضى مِن بُغضِكُم وعُقوقِكمْ   وغِشيانِكم مِن أمرنا كلَّ مأثَمِ [2]

إذن مَن سار على منهج القيَم العُليا والخُلق الرفيع ، لابدّ أن يكون في صفِّ الدين الحنيف؛ يَنبوعِ الأخلاق القويمة ، وإلاّ فهم يستحقّون الذمّ لخروجهم على هذا النهج..

وهذا ما يقوله أمية : (من البسيط)

فما أنابوا لِسِلمٍ حين تُنذرهُمْ   رُسْلُ الإلهِ وما كانوا له عَضُدَا [3]

فهو يَذمُّ المارقين على دعوة الحقِّ الإلهية ..

وفي مَوضع آخر يُبدي رأيَهُ في كيفية إنفاق المال ، كيلا يكونَ سُبَّةً على صاحبه : (من الطويل)

اكتسبَ المالَ الفتى مِن وُجوهِهِ   وأَحسنَ تدبيراً لَهُ حين يَجمَعُ
ضى به أَهلَ الحُقوقِ ولمْ يُضِعْ   بهِ الآخرَ زاداً لِلّتي هي أَنفَعُ
ذاك الفتى لا جامِعُ الوفرَ ذاخراً   لأولادِ سُوءٍ حيثُ حَلُّوا وأَوضَعُوا [4]

هنا يذكر الدار الآخرةَ الأَهم لحقيقة حياة الإنسان وسعادته الحقّة ، وما ينبغي لها من عمل أنفع وأَثرٍ أبقى ..

الموت والآخرة :

والموتُ حقٌّ لكلِّ حيٍّ من المخلوقين ، وقد كان الجاهليُّون يذكرون ذلك في كل مناسبة .. يُشير **الأعشى** في عتابه بني عبّاد ومالك ابني ضُبيعة ؛ إلى أنّ كلَّ الأنام سيُقبَرون في هذه الأرض: (من الطويل)

---

[1] كذبتم : بطل أملكم وخاب رجاؤكم . الجماجم : السادات أو الرؤوس . زمزم : بئر بجانب البيت .

[2] ديوان أبي طالب ، ص١١١-١١٢ .

[3] ديوان أُمية ، ص٣٨ .

[4] أوضعوا : غُبنوا وخسروا .
ديوان أُمية ، ص٨٦ .

ـا أَخَوَينا مِن أَبِينا وأُمِّنا   أَلَمْ تَعلمَا أَنْ كلّ مَن فَوقَها لَهَا [1]

فيكون لزاماً على كل عاقل أن يترك إحساناً ليرى حُسناً ..

وعند دُنُوِّ أَجَلِ الإنسانِ ، مَن له غيرُ خالقِه ، يلجأُ إليه ؟ فهذا أُميةُ يعترفُ بأنّ نِعمَ الباري جلّ وعلا قد حفّت به، لكنه لم يُجهد نفسَه بشكرها فيرتجز مُنيباً إلى ربِّه نادماً:

إنْ تَغْفِرِ اللّهُمّ تَغفِرْ جَمّا
وأيُّ عَبدٍ لَكَ لا أَلَمّا [2]

وحينَ احتضاره ، قال : (من مجزوء الرجز)

لَبَّيكُمَا لَبَّيكُمَا
هَا أَنَذا لَدَيكُمَا [3]

إنه الخضوعُ الكامل والاستسلام التامّ ..

ويذكرُ الأعشى ، وصيةً لأبيه : (من البسيط)

لضَّيفَ أُوصيكُمُ بالضيفِ إنّ لَهُ   حقّا عليَّ فأعطيهِ واعترف
جارَ أُوصيكُمُ بالجارِ إنّ لَهُ   ـاً من الدَّهرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفُ
ـنَا بِعِيرٍ وبَيتِ اللهِ مائرةٍ   إلاّ عليها دُروعُ القَومِ والزّغَفُ [4]

إنّ أباه يوصي بما كان عندهم من مكرمات؛ أوّلها : إكرامُ الضيف ، وثانيها : مُراعاةُ حقوق الجار ، والثالثة : الدفاعُ ببسالة عن الحقِّ وعدم التخاذل في ميدانه .. وكل ذلك ممّا أكده الإسلامُ الحنيف. وقال أمية عند احتضاره ؛ واعظاً : (من الخفيف)

---

[1] ديوان الأعشى ، ص٣٩٣ .

[2] اللّمم : صغار الذنوب .

ديوان أُمية ، ص١١٤ .

[3] ديوان أُمية . ص١١٤ .

[4] مارت الإبل : ترددت قوائمها في جنبها واضطربت جيئةً وذهاباً . الدرع :ثوب يُنسجُ من الحَلَق ، يلبسه المقاتل . درع زغيف : واسعة طويلة .

ديوان الأعشى ، ص٣٥٩ .

ل الموتَ نُصبَ عَينِكَ واحذرْ   غَولةَ الدهرِ ، إنّ للدهرِ غُولاَ [1]
ّ يومَ الحسابِ يومٌ عظيمٌ   ابَ فيهِ الصَّغيرُ شَيباً طويلاَ [2]

فلا مَنجاةَ لأحدٍ من الهلاك .. لا الوحوش في البراري ولا الطيور الساكنة في رؤوس الجبال، ولا يترك صغيراً ولا كبيراً ..وبعدَهُ مَشهدٌ يُحذِّرُ منه فيقول تعالى: (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً)[3].

جاءت الفارعةُ –أختُ أُمية – إلى الرسول 6 فأنشدته القصيدة الآتية ، فقال لها : [يا فارعةُ إنَّ مَثَلَ أخيكِ كمَثَلِ الذي آتاهُ اللهُ آياتِهِ فانْسلخَ منها فأَتبعَهُ الشيطانُ فكان مِنَ الغاوِين] [4] :

(من المنسرح)

مِلَا أتاها من اليقينِ ولمْ   تكُنْ تَراهُ يَلُمُّ طارقُهَا [5]
نَّ ما جمَّعَتْ وأعجبَها   مِن عَيشها مرَّةً مُفارقُهَا
عاهدتْ هذه القلوبُ إذا   مَّتْ بِخيرٍ ،عاقتْ عوائقُهَا

وصدُّها للشقاءِ عن طلبِ الـ   نَّةِ دُنيا ، الإلهُ ماحِقُهَا [6]
أمْ منْ تَلظَّى عليهِ واقِدةُ النْـ   ـارِ مُحيطٌ بها سُرادِقُهَا
أسكنُ الجنةَ التي وُعِدَ الـ   بْرارُ مَصفوفةٌ نَمارِقُهَا [7]
هُما فريقانِ فِرقةٌ تدخلُ الـ   جنَّةَ حفَّتْ بهمْ حدائقُهَا
وفِرقةٌ منهمُ أُدخلتِ النْـ   ـارَ فَساءَتْهُمْ مَرافِقُهَا [8]
لا يستوي المَنزلانِ ثَمَّ ولا الـ   أعمالُ لا تَستوي طَرائقُهَا [9]
عبدٌ دعا نفسَهُ فعاتبَها   ليَمُ أنَّ البَصيرَ رامِقُهَا [10]

---

[1] غولة ؛ يقال فلان قتل فلاناً غيلة: خفية . الغول : السعلاة .

[2] ديوان أُمية ، ص٩٦-٩٧ .

[3] سورة المزمل ، ٧٣ / ١٧ .

[4] الاستيعاب ، ٣٧٩/٤ .
وينظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٢٦٤/٢ .

[5] يلم : يجمع ما تفرق من أُموره ، ويصلحه .

[6] ماحقها :ذاهبٌ بها ، مُبيرها .

[7] النمارق:جمع نُمرُق ونُمرُقة : الوسادة الصغيرة ، يُتَّكأُ عليها .

[8] المرافق :مَصابُ الماء ونحوها .

[9] ثم : هناك .

[10] البصير :من أسماء الله الحسنى.الرمق: بقية الحياة ، أو بقية الروح ، رامقها : الذي يُمسكها ، وهو الله I.
ديوان أُمية ، ص١٦٩-١٧١ .

وكأنه يلخِّصُ كلَّ حياته وفلسفته ومآله في مُصارحة ذاتية ومُكاشفة نفسية ومُراجعة ختامية.. تتوافق بعض أبياته، مع آيٍ من الذكر الكريم، كقوله تعالى: (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) (١)، (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ) (٢)، (وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً) مُرْتَفَقاً) (٣)، (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ) (٤)، (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (٥).

وماذا ينتظرُ الإنسانُ بعد الموت؟ إما نارٌ يَرِدُها الجميع ويُعاقَبُ بها المجرمون كما يُقرُّ أُميةُ: (من الخفيف)

رَبِّ كُلًّا حَتَمْتَهُ وارِدَ النا   رِ كتاباً حَتَمْتَهُ مَقضِيَّا (٦)

قال العزيزُ القدير: (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً) (٧).

وإما جنةٌ يُثاب بها المتّقون، ويتمنّاها أُمية: (من الخفيف)

ربِّ لا تحرمنّي جنَّةَ الخُلْدِ وكُنْ رَبِّ بي رؤوفاً حفيَّا (٨)

وقد جاء في القرآن الكريم: (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً)(٩).

ويتحدَّثُ أميةُ عن الحياة والميقات: (من الكامل)

والشَّهرُ بين هلالِهِ ومُحاقِهِ   ـلٌ لِعلمِ الناسِ كيف يُعدَّدُ

ـبِسَ السَّرافيلُ الصَّوافي تحتَهُ   لا واهِنٌ منهمْ ولا مُستوغِدُ (١٠)
رَجُلٌ وثَورٌ تحتَ رِجلِ يَمينِهِ   لنَّسْرُ لليُسرى وليثٌ مُرصَدُ

والشمسُ تطلُعُ كلَّ آخِرِ ليلةٍ   ـمراءَ يُصبحُ لونُها يتورَّدُ
لا تستطيعُ بأنْ تُقصِّرَ ساعةً   وبِذاكَ تَأبدُ يومَها وتَشَرَّدُ

---

(١) سورة الكهف، ٢٩/١٨.
(٢) سورة الغاشية، ١٥/٨٨.
(٣) سورة الكهف، ٢٩/١٨.
(٤) سورة الحشر، ٢٠/٥٩.
(٥) سور الأنبياء، ٣٥/٢١.
(٦) حتمته: فرضته.
ديوان أُمية، ص١٥٦.
(٧) سورة مريم، ٧١/١٩.
(٨) الحفي: عظيم الإكرام.
ديوان أُمية، ص١٥٦.
(٩) سورة مريم، ٤٧/١٩.
(١٠) السرافيل: نوع من الملائكة. الوغد: الخفيف، الضعيف العقل.

فاغفِرْ لِعَبْدٍ إنّ أوّلَ ذنبِهِ ... ـرْبٌ وأيسارٌ يُشارِكُها دَدُ [١]

وهي تقتربُ من آي الذكر الحكيم في مِثل قوله سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [٢]، وقد صدَّقَ الرسولُ الكريم 6 أميةَ في بيته الثالث فقال: [صَدَقَ هذه صفاتُ حَمَلةِ العَرش] [٣] .

الجنة والنار :

وعندما أنشدتْ أختُه الفارعة الرسولَ 6 القطعةَ الآتية ، قال: [آمَنَ شِعرُهُ وكَفَرَ قَلبُه] [٤] : (من الخفيف)

ندَ ذي العَرشِ يُعرَضُون عليهِ ... ـمُ الجَهْرَ والكلامَ الخَفيَّا
يَومَ نأتيهِ وهْوَ ربٌّ رحيم ... إنَّه كانَ وعدُهُ مأتيّا
يومَ نأتيهِ مثلَ ما قالَ فَرداً ... ـم يَذَرْ فيهِ راشِداً وغَويَّا
أَسعيدٌ سعادةً أَنا أرجو ... مُهانٌ بما كسبْتُ شقيًّا
ـبِ إنْ تَعفُ فالمُعافاةُ ظَنّي ... تُعاقِبْ فلمْ تُعاقِبْ بريّا

أَوآخَذْ بما اجْترمْتُ ، فإنّي ... ـوفَ أَلقى من العذابِ فَريَّا [٥]

ويلاحظ كذلك التوافقُ مع معاني القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى: (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) [٦] [٦] (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [٧] .

وبعدُ .فماذا في الآخرة ؟ هناك يومٌ يُسمِّيه أميةُ بعِدَّة أسماء ، فهو يومُ التَّنادي : (من الوافر)

بَثَّ الخَلقَ فيها إذ دَحاها ... فَهُمْ قُطّانُها حتى التّنادي [٨]

إن الله تعالى ، خلق الأرضَ فبسَطَها ، ثم أسكنها خلقَهُ من البشر وغيرهم إلى يوم النشور الذي سيحاسب فيه الناس ، كما يُسميه في بيت آخر : (من الوافر)

---

[١] أيسار : جمع ياسر : الذي يلعب بالقداح ، نوع من المقامرة .دَدٌ :لهوٌ .
ديوان أُمية ، ص٤٩-٥١ .

[٢] سورة البقرة ، ١٨٩/٢ .

[٣] مسند أحمد ، ٨٨/٤ .

[٤] نهاية الأرب ، ٢٧٢/١٣ .

[٥] الفريّ : الكثير العظيم .
ديوان أُميّة ، ص١٥٥-١٥٦ .

[٦] سورة الأعلى ، ٧/٨٧ .

[٧] سورة مريم ، ٩٥/١٩ .

[٨] ديوان أُمية ، ص٦٤ .

لا يومَ الحسابِ ، وكان يوماً   عَبوساً في الشدائدِ قَمطريراً (١)

جاء في القرآن الكريم: (إنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً) (٢) .

وقال الرسول الكريم 6 : [كادَ أُميةُ أَن يُسْلِمَ] (٣) ، بعدما أنشدتْه الفارعةُ قصيدةَ أخيها: (من الخفيف)

فُ الناسَ للحسابِ جميعاً   شَقيٌّ مُعذَّبٌ وسعيدُ (٤)

وقد قَسَّمَ ما يُسفِرُ عنه يومُ الحساب ، كما جاء في الآية الشريفة :(فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ)(٥).

وفي موضعٍ آخرَ يُشيرُ إلى موقف النصارى مع سيدنا عيسى 7 يومَ الدين : (من البسيط)

اناسُ راثَ عليهمْ أَمرُ ساعتِهمْ   َ كلُّهم قائلٌ لِلدِّينِ أَيّانَا (٦)
امَ يَلقى نَصاراهمْ مَسيحَهُمُ   والكائنين له وَدا وقربانا (٧)

قال الله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) (٨) . وهو يومُ التغابُن الذي يَغبَنُ فيه أهلُ الجنة أهلَ النار ، يذكره أميةُ في قصيدة أخرى : (من البسيط)

ومَ موعِدِهمْ أَنْ يُحشَروا زُمَراً   ومَ التغابُنِ إذ لا يَنفعُ الحَذَرُ
ستوسِقينَ مع الداعي كأَنَّهُمُ   لُ الجرادِ زَفَتْهُ الريحُ تَنتشرُ (٩)
رِزوا بِصَعيدٍ مُسْتَوٍ جُرُزٍ   زلَ العرشُ والميزانُ والزُّبُرُ (١٠)
وحُوسِبُوا بالذي لم يُحْصِهِ أَحَدٌ   نهمْ ، وفي مثلِ ذاكَ اليومِ مُعتَبَرُ
فمنهمُ فَرِحٌ راضٍ بِمَبعثِهِ   وآخرونَ عَصَوا مأواهُمُ السَّقَرُ
قولُ خُزّانُها: ما كان عندَكُمُ   مْ يكنْ جاءكمْ مِن ربِّكمْ نُذُرُ

---

(١) القمطرير : اليوم الشديد .
ديوان أُمية ، ص٦٨ .
(٢) سورة الإنسان ، ١٠/٧٦ .
(٣) نهاية الأرب ، ٢٧٢/١٣ .
(٤) ديوان أُمية ، ص٦٠ .
(٥) سورة هود ، ١٠٥/١١ .
(٦) راث الأمر : أبطأ .
(٧) له ؛ للسيد المسيح .
ديوان أمية ، ١٣٥-١٣٦ .
(٨) سورة الذاريات ، ١١/٥١-١٢ .
(٩) مستوسقين : مجتمعين على طاعته . الرِّجْلُ: القطعة العظيمة من الشيء وخَصَّ به بعضُهم الجراد ، ومنه الحديث: [كأنَّ نَبلَهُم رِجلُ جَراد] ، (ينظر: اللسان) . زفته الريح :أسرعتْ به .
(١٠) جرز : الأرض التي لا نبت فيها . الزبر : الكتب .

قالوا : بلى فأطعنا سادةً بَطِروا
ـنا طُولُ هذا العيشِ والعُمُرُ

قالوا امْكُثُوا في عذابِ اللهِ ما لَكُمُ … السلاسلُ والأغلالُ والسُّعُرُ
ـولُّوا بِعذابٍ حَصَّ دابِرَهُمْ … ـما اسْتطاعوا لـه صَرفاً ولا انْتصَروا
ـذاك مَحْبِسُهُمْ لا يَبرحُونَ بهِ … ـولَ المُقامِ وإنْ ضَجُّوا وإنْ صَبَروا
آخرونَ على الأعرافِ قد طَمِعوا … ـةٍ حَفَّها الرُّمّانُ والخُضَرُ
ـقَونَ فيها بِكأسٍ لَذَّةٍ أُنُفٍ … ـفراءَ لا ثَرْقَبٌ فيها ولا سَكَرُ (١)
ـاجُها سَلسبيلٌ ماؤها غَدِقٌ … ـذْبُ المَذاقةِ لا مِلحٌ ولا كَدَرُ
ـنهمْ رجالٌ على الرَّحمنِ رِزْقُهُمُ … ـرٌ عنهمُ الأخباثُ والوَزَرُ
ـنَّ الأَنَامَ رعايا اللهِ كلُّهُمُ … ـو السَّلْطَلِيطُ فوقَ الأَرضِ مُقتدِرُ (٢)
ـو كانَ مُنفَلِتٌ كانتْ قساوسةٌ … ـيِيهمُ اللهُ في أَيديهِمُ الزُّبُرُ
ـيس ذُو العِلمِ بالتَّقوى كجاهِلِها … والبصيرُ كأَعمى مالَهُ بَصَرُ
ـتخبِرِ الناسَ عمّا أنتَ جاهِلُهُ … إذا عَمِيتَ فقد يَجلو العَمى الخَبَرُ
كائنْ خَلَتْ فِيهمُ من أُمَّةٍ ظَلَمَتْ … ـد كان جاءَهُمُ مِن قبلهم نُذُرُ
وَصَدَّقوا بِلقاءِ اللهِ رَبِّكُمُ … يَصُدَّنَّكمْ عن ذِكرِهِ البَطَرُ (٣)

وتتصل معاني القصيدة بآياتٍ قرآنية مباركة مثل قوله : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا)(٤) ، (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ)(٥) ، (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ)(٦) ، (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا)(٧) ، (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)(٨) ، (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا)(٩) ، (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ

---

(١) الثرقبية : ثياب كتّان بيض ، قد يقصد ألاّ شائبةَ فيها .
(٢) السلطليط : القاهر ، من السلطة ، (ينظر : لسان العرب) .
(٣) ديوان أمية ، ص٧٩-٨١ .
(٤) سورة الزمر ، ٧١/٣٩ .
(٥) سورة التغابن ، ٩/٦٤ .
(٦) سورة القمر ، ٧/٥٤-٨ .
(٧) سورة الكهف ، ٨/١٨ .
(٨) سورة الزمر ، ٧١/٣٩ .
(٩) سورة الأحزاب ، ٦٧/٣٣ .

سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً) (١) **وبينهما حجاب وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ)** (٢) **وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً)** (٣) .

وفي قصيدةٍ أخرى يُوازنُ أُميةُ بين الجنة والنار : (من الوافر)

جَهَنَّمُ تلكَ لا تُبقي بَغِيّاً   عَدنٌ لا يُطالِعُها رَجيمُ
إذا شَبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ فارتْ   عرضَ عن قَوانِسها الجَحيمُ (٤)
ش بِصَندلٍ صُمٍّ صِلابٍ   أنَّ الضاحياتِ لها قَضيمُ (٥)
فتَسمو ما يُغيِّبُها ضِواءٌ   ولا تَخبو فَيُبرِدُها السَّمومُ (٦)
فَهُمْ يَطفُونَ كالأقذاءِ فيها   لَئنْ لم يغفرِ الرَّبُّ الرحيمُ (٧)

فإذا انتهوا إلى الجنة ، أُلقيتْ عنهم النذورُ ونال كلٌّ نصيبَه :

ذَا عَسَلٌ وذا لَبَنٌ وخمرٌ   وقَمحٌ في مَنابتِهِ صَريمُ (٨)
نَخلٌ ساقطُ القِنوانِ فيها   خِلالَ أصولِهِ رُطَبٌ قَميمُ (٩)
تّاحٌ ورُمَّانٌ وتِينٌ   وماءٌ باردٌ عذبٌ سليمُ
وفيها لَحمُ ساهرةٍ وبَحرٍ   وما فاهوا بهِ لَهمُ مُقيمُ (١٠)
ورٌ لا يَرَيْنَ الشمسَ فيها   ى صُوَرِ الدُّمى فيها سُهومُ (١١)

---

(١) سورة الإنسان ، ٤/٧٦ .

(٢) سورة الأعراف ، ٤٦/٧ .

(٣) سورة الإنسان ، ١٧/٧٦-١٨ .

(٤) القونس : أعلى مقدمة البيضة من الحديد ، وهي نوع من السلاح . أعرض الشيء : اتسع ، قوله : عن ؛ بسبب قذف تلك القوانس .

(٥) حش الحرب : إذا أسعرها وهيجّ نارها . الصندل : الحجارة الكبيرة . الضاحيات : النخيل . القضيم : الشعير الذي يُقدم علفاً للدابة، لعله يقصد ؛ أن وقودها من النخيل بمثابة هذا الشعير .

(٦) الضواء : الضياء ، (ينظر : اللسان) . السموم : الرياح الحارة .

(٧) الأقذاء : جمع قذى : ما يطفو فوق الماء من شوائب .

(٨) صريم : الكدس المقطوع من الزرع .

(٩) القنوان : جمع قنو : العذق . القميم : المجموع المنكوس .

(١٠) الساهرة : الفلاة .

(١١) السهوم : الضمور وقلة لحم الوجه .

واءِمُ في الأرائكِ قاصراتٌ هُن عَقائلٌ وهُمُ قُرومُ (١)
ى سُرُرٍ تُرى مُتقابلاتٍ ألا ثَمَّ النَّضارةُ والنعيمُ
يهمْ سُندسٌ وجِيادُ رَيطٍ ودِيباجٌ يُرى فيها قَتُومُ (٢)
وحُلّوا مِن أساورَ من لُجَينٍ ن ذهبٍ وعَسجَدُه كريمُ (٣)
فلا لَغوٌ ولا تأثيمَ فيها لا حَينٌ ولا فيها مَليمُ (٤)
وكأسٌ لا تُصدِّعُ شاربيها ذٌّ بِحُسنِ رؤيتها النَّديمُ (٥)
صفّقُ في صِحافٍ من لُجينٍ ومن ذَهبٍ مباركه رَذُومُ (٦)
قُضتِ النذورُ وأردفتْهمْ ضولُ اللهِ وانتهتِ القُسُومُ
وتَحتهُمُ نَمارقُ من دِمَقسٍ ولا أحدٌ يُرى فيها سَئيمُ (٧)
فذاك جَزاءُ ما عَمِلوا قديماً وكلٌّ بعد ذلكمُ يَدومُ (٨)

وهذه معانٍ جاء ذكرُها في القرآن العظيم، قال تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ ر آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ نْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)(٩)، (فِيهِمَا(٩) فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ)(١٠)، (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ)(١١) (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)(١٢) (لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ)(١٣)، (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ)(١٤) (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ)(١).

---

(١) العقائل : الخيار . القروم : السادة .

(٢) ريط :جمع ريطة : المُلاءة . الديباج : ضرب من ثياب الحرير . القتوم : لون فيه غبرة وحمرة .

(٣) العسجد : الذهب ، وقيل : اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت .

(٤) المليم : الآتي بما يُلام عليه .

(٥) تصدع :من الصدُّاع الذي يعقب شرب الخمر .
ينظر : تفسير الطبري ، ١٧٥/٢٧.

(٦) تصفق :تُحوّل من إناء إلى آخر لتصفو . الصحاف : جمع صفحة : صحن للطعام كبير عريض . الرذوم : المملوءة .

(٧) الدمقس :الإبريسم والقزّ .

(٨) ديوان أمية ، ص١١٩-١٢٣ .

(٩) سورة محمد ، ١٥/٤٧.

(١٠) سورة الرحمن ، ٦٨/٥٥ .

(١١) سورة النازعات ، ١٣/٧٩-١٤.

(١٢) سورة الصافات ، ٤٣/٣٧-٤٤.

(١٣) سورة الطور ، ٢٣/٥٢.

(١٤) سورة الواقعة ، ١٨/٥٦-١٩.

ويصفُ أُميةُ الجنة : (من الكامل)

إن الحدائقَ في الجِنانِ ظَليلةٌ ها الكواعِبُ سِدرُها مَخضودُ (٢)

قال اللهُ تبارك وتعالى: (في سِدْرٍ مَخْضُودٍ) (٣) .

ومن شعره فيما أُعد لأهل الجنة :(من الخفيف)

تصفَقُ الراحُ والرّحيقُ عليهمْ ي دِنانٍ مَصفوفةٍ وقِلالِ (٤)
وأباريقَ تَنفِرُ الخَمرُ فيها حيقٍ في الفُراتِ الزلالِ (٥)

قال تعالى: (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ) (٦) .

ويُضيفُ أُميةُ أن أهلَ الجنة لايتجاوزون فيما يختصمون بالمشاركة فيه بينهم كعمل اللّئام، ولا قُوتُ مَن يَعُولونه الخبز اليابس المُتكسر (٧) : (من الوافر)

ولا يَتنازعونَ عِنانَ شِركٍ ولا أقواتُ أهلهِمُ العسُومُ (٨)
ولا قَردٌ يُقززُ من طعامٍ نَصِبٌ ولا مَولىً عديمُ (٩)

---

[١] سورة الزخرف ، ٧١/٤٣.

[٢] مخضود : ليس له شوك.

ينظر: الإتقان في علوم القرآن ، ٧٣/٢ . ديوان أمية ، ص٥٩ .

[٣] سورة الواقعة ، ٢٨/٥٦ .

[٤] تصفق : تُتاح ، الرحيق : الصافي من الشراب ، وقصد به: الماء العذب . الدنان : الحباب ، وقيل : هي أصغر من الحباب . القلال : الأكواز الصغيرة .

[٥] تنفر : تنفجر .

ديوان أمية ، ص١٠٦ .

[٦] سورة المطففين ، ٢٥/٨٣ .

[٧] ينظر: مبادئ اللغة .

[٨] العسوم : قطع الخبز اليابسة .

[٩] القرد : نوع من الحشرات . التقزز : التنطس والتباعد من الدنس . النصب : المريض الوجع .

ديوان أمية ، ص ١٢٦ .

وعن النار وأهلها ، يقول إنهم يدخلونها جماعاتٍ وتسمعُ لهم دويا كصرخة أَربعينَ رجلاً: (من الوافر)

ـا وَيحدَهُم مِن حَرِّ نارٍ   كصرخة أربعينَ لها وَزِيمُ (١)

ويُصوِّرُ سُقوطَ المجرمين في النار جزاءَ قولهم الكذب والزور: (من البسيط)

فأُركِسُوا في حَميمِ النارِ إنهُمُ   كانوا عُصاةً وقالوا الإفكَ والزورَا (٢)

ويصفُ حالَ أهلِ النار: (من البسيط)

ـدعُونَ بالوَيلِ لا خَلاقَ لهمُ   إلا سَرابيلُ من قِطرٍ وأَغلالُ (٣)

وهذا كقوله تعالى (سَرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ) (٤) .

مَلَكُوت الخلاّق العظيم :

عودةٌ إلى خَلق الله سبحانه ، وتأملِ أميةَ في الكون البديع : (من الوافر)

تَأمَّلْ صُنعَ رَبِّكَ غيرَ شَكٍّ   بِعَينِكَ كيفَ تَختلفُ النُّجومُ
فما تَجري سَوابقُ مُلجَماتٌ   كما تَجري ولا طيرٌ تَسومُ (٥)
دَوائبُ في النهارِ كما تَراها   وتُمسي مُسيَ لَيلَتِها تَعومُ
هُوَ الجُري سَوابقَها سِراعاً   ـا حَبَسَ الجبالَ فما تَريمُ (٦)

فكل كائنٍ هو من أمرِ الله تعالى وبحسب النظام الذي خُلقَ فيه .

وهذه الأرضُ جُزءٌ من هذا الكون الفسيح: (من الكامل)

---

(١) الوزيم : الوجبة ، وهي السقطة مع الهدة، وصوت السقوط .
ديوان أمية ، ص١٢٦

(٢) الإركاس : الردّ ؛ أُعيدوا إلى النار .
ديوان أمية ، ص٦٨ .

(٣) الخلاق : النصيب . القطر : النحاس .
ديوان أُمية ، ص٩٨ .

(٤) سورة ابراهيم ، ١٤/ ٥٠ .

(5) تسوم تمر وتمضي .

(٦) ما تريم : ما تبرح مكانها .
ديوان أُمية ، ص ١٢٥ .

دارُ دَحاهــــا ثُــــمَّ أعمرَنـــا بهــــا   وأَقــامَ بــالأخرى التــي هِــيَ أَمْجَــدُ [(١)]

كقوله جلَّ وعلا : (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) . [(٢)]

وفي قصيدةٍ أخرى يُفصّلُ أميةُ الحديثَ عن الكون وما خَلقَ الله ، جاعلاً التزاوجَ من صفات الكائنات جميعاً : (من الكامل)

والأرضَ نَوّخَهــا الإلــهُ طَروقــةً   للمــاءِ حتــى كــلُّ زَنــدٍ مُسْــفِدُ [(٣)]

فيهــا تَلامــذةٌ علــى قُــذْفاتِها   بِســوا قِيامــاً والفَــرائص تُرعَــدُ [(٤)]

فمضــى وأَصــعدَ واسْــتبدَّ إقامــةً   بأُولي قِــوىً فَمُبتَــلٌ ومُتَلمَــدُ [(٥)]

وَبَنَــى الإلــهُ علــيهمُ مَحصــوفةً   خَلقــاءَ لاتَبلــى ولا تَتــأوَّدُ [(٦)]

فــأَتمَّ سِــتاً فاسْــتوتْ أَطباقُهــا   وأتــى بِســابعةٍ فــأَنَّى تُــورَدُ [(٧)]

فكــأنَّ بِرقِــعَ والملائــكُ حَولَهــا   سَــدِرٌ تَواكَلــهُ القــوائمُ أَجــرَدُ [(٨)]

زُجاجــةِ الغُســولِ أَحســنَ صُــنعَها   ـــا بناهــا ربُّنــا يَتجــرَّدُ [(٩)]

مُصــفَّدِينَ علــيهمُ صــاقورةٌ   صَــمّاءُ ثالثــةٌ تُمــاعُ وتُجْمَــدُ [(١٠)]

وكــأنَّ رابعــةً لهــا حــاقورةٌ   ي جَنبِ خامســةٍ عنــاصٍ تُمــرَدُ [(١١)]

[(١)] دحاها : بسَطها .

ديوان أُمية ، ص٥٨ .

[(٢)] سورة النازعات ، ٧٩/ ٣٠ .

[(٣)] الطروقة : أنثى الفحل . السفد : نزول الذكر على الأنثى ، واستعاره أمية للماء والزند .

[(٤)] التلامذة : الخدم والأتباع ، وقصد بها : الملائكة . قذفانها : جوانبها .

[(٥)] المبتل : التامّ الخلق، المتلمد ؛ قد تكون تحريفاً لمُتلِّد : قديم .

[(٦)] محصوفة : من حصف الشيء ؛ إذا أحكم صنعه ، وأراد بها : السماء . خلقاء: ملساء.

[(٧)] أنى تورد : لا يستطيع أحدٌ الوصولَ إليها .

[(٨)] برقع : اسم السماء الدنيا، وقيل : السابعة . سدر : بحر ، شبّه السماء بالبحر لملاستها . القوائم : الرياح . أي: فلم يتموّج البحر .

ينظر: التبيان في شرح الديوان ، ٣٧٥/٢ .

[(٩)] الغسول : ماء الغسيل، (ينظر: اللسان) .

[(١٠)] الصاقورة : اسم السماء الثالثة .

ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢٩٧/٣ .

[(١١)] الحاقورة : اسم السماء الرابعة .

ينظر: الأزمنة والأمكنة ، ٦/٢ . عناص : البقية الباقية من كل شيء . تمرد : تُساق سوقاً شديداً .

بها النُّجومُ تُطيعُ غيرَ مَراحةٍ   ما قال صَيقُها الأمينُ الأرشدُ (١)
نَدَّ القُطوعَ على المطايا رَبُّنا   لٌّ بِنَعماءِ الإلهِ مُقيَّدُ (٢)
صوصِ ياقوتٍ ، وكَظَّ بعرشِهِ   هَولٌ ، ونارٌ دونَه تَتوقَّدُ (٣)
لا طِوالاتِ القَوائمِ فاسْتوى   وقَ الخُلودِ ومَن أرادَ مُخلَّدُ (٤)

وتَرى شياطيناً تَروغُ مُضافةً   رَ واغُها شتّى إذا ما تُطرَدُ (٥)
تُلفى عليها في السَّماءِ مَذلَّةً   وكواكبٌ تُرمى بها فَتُعرِّدُ (٦)
ابُهُ المُتَنصِّفون بِسُحرةٍ   ي ألفِ ألفٍ من مَلائكَ تُحشَدُ (٧)
سُلٌ يَجوبونَ السَّماءَ بأَمرِهِ   ' يَنظرونَ ثَواءَ مَن يَتقصَّدُ
مُ كَأوبِ الرِّيحِ ؛ بَينَا أَدبرتْ   تْ بَوادرُ وَجْهها لا تُكرَدُ (٨)
خُدٌ مَناكبُهمْ على أكتافِهمْ   زِفٌ يَزِفُّ بهمْ إذا ما اسْتَنجدُوا (٩)
وإذا تلامذةُ الإلهِ تَعاوَنوا   غَلَبوا ونشّطَهمْ جَناحٌ مُعتَدُ (١٠)
نَهَضُوا بِأَجنحةٍ فلمْ يَتواكلُوا   لا مُبطِئٌ منهمْ ولا مُستوغِدُ (١١)

وهكذا نجد مما ذكره أُميةُ مُتوافقاً مع آي الذكر المُبين ، كما في قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ)(١٢) و(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ)(١٣) و(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ) (١٤) .

---

(١) المراح : النشاط ، (ينظر : اللسان) .

(٢) القطوع : نوع من الثياب الموشّاة .

(٣) بفصوص ياقوت ؛ يعود على القطوع في البيت السابق ، مما أنعم الله به على الناس والحيوان . كظ : ضاق.

(٤) طوالات القوائم : النوق .

(٥) تروغ : تحيد وتميل . مضافة : مضمومٌ بعضها إلى بعض ؛ خوفاً .

(٦) التعريد : سرعة الهرب .

(٧) ينتابه : يقصده . المتنصفون : الطائعون أمرَهُ ، الراجون معروفه .

(٨) تكرد : تُساق سَوقاً شديداً .

(٩) الخد : الجمع من الناس . الزف : صغار الريش. يزف: يُسرع .

(١٠) معتد : جاهز .

(١١) المستوغد ؛ من الوغد : السير مثل صاحبك وبسرعته .
ديوان أمية ، ص٥١-٥٥ .

(١٢) سورة الملك ، ٦٧/٣ .

(١٣) سورة الملك ، ٦٧/٥ .

(١٤) سورة فاطر ، ٣٥/١.

وفي قصيدة طويلة ، يُفصِّلُ أميةُ قولَه في ملكوتِ السماء والملائكةِ وخَلق الانسان وما كان من عدوِّه الشيطان ، و في شأن الموت والبعث وأنَّ كلَّ المخلوقات تُسبِّحُ اللهَ وتخافهُ، إذ الدُّنيا فانية ولن يطولَ مُكثُ أحدٍ فيها ، مع بعض القصص والأخبار المُعتَبَرَة.. يَبدؤها بِحَمْدِه تعالى مالكِ المُلك :(من الطويل)

لَكَ الحمدُ والنعماءُ والمُلكُ ربَّنا   فَلا شَيءَ أعلى منكَ جَدّاً وأمجَدُ
مَليكٌ على عَرشِ السماءِ مُهَيمِنٌ   لِعِزَّتِهِ تَعنُو الوُجوهُ وتَسجُدُ (١)
عليه حِجابُ النُّورِ والنُّورُ حَولَهُ   نهارُ نُورٍ حَولَهُ تَتوقَّدُ
ولا بَشَرٌ يَسمُو إليهِ بِطَرفِهِ   ودُونَ حِجابِ النُّورِ خَلقٌ مُؤيَّدُ

لائكةٌ أقدامُهمْ تحتَ أرضِهِ   عناقُهمْ فَوقَ السَّماواتِ صُعَّدُ
نْ حامِلٍ إحدى قَوائِمِ عَرشِهِ   بِأيدٍ ولَولا ذاك كَلُّوا وبَلَّدُوا
قِيامٌ على الأقدامِ عانِينَ تحتَهُ   فَرائصُهمْ مِن شِدَّةِ الخَوفِ تُرعِدُ (٢)
مْ عندَ ربٍّ يَنظرُونَ لأمرِهِ   يخونَ بالأسماعِ لِلوَحيِ رُكَّدُ (٣)
يناهُ؛ رُوحُ القُدسِ جبريلُ منهما   ميكالُ ذو الرُّوحِ القَويِّ المُسدَّدُ
لائكةٌ لا يَفتُرونَ عِبادةً   وبيَّةٌ ، منهمْ رُكوعٌ وسُجَّدُ (٤)
ساجِدُهمْ لا يَرفعُ الدَّهرَ رأسَهُ   يُعظِّمُ ربّاً فوقَهُ ويُمجِّدُ
راكعُهمْ يَحنُو لهُ الظَّهرَ خاشعاً   ردِّدُ آلاءَ الإلهِ ويَحمَدُ
نهمْ مُلِفٌّ في جَناحَيهِ رأسَهُ   يكادُ لِذكرى ربِّهِ يَتفصَّدُ (٥)
نَ الخَوفِ ، لا ذو سَأمةٍ بِعبادةٍ   لا هُوَ مِن طُولِ التَّعبُّدِ يَجْهَدُ
رّاسُ أبوابِ السَّماواتِ دُونَهُ   قِيامٌ عليهِ بالمَقاليدِ رُصَّدُ
نِعمَ العِبادُ المُصطفَونَ لأمرِهِ   ن دُونِهمْ جُندٌ كَثيفٌ مُجنَّدُ (٦)
حتَ كثيفِ الماءِ في باطنِ الثَّرى   ملائكةٌ تَنحطُّ فيهِ وتَصعَدُ
ين طِباقِ الأرضِ تحتَ بُطونِها   ملائكةٌ بالأمرِ فيها تَردَّدُ
بحانَ مَن لا يعرفُ الخلقُ قَدْرَهُ   ومَن هُوَ فوقَ العرشِ فَردٌ مُوحَّدُ
ن لَمْ تُنازِعْهُ الخلائقُ مُلكَهُ   وإنْ لم تُفرِّدْهُ العِبادُ فمُفرَدُ

---

(١) المهيمن : المسيطر . تعنو : تخضع .

(٢) عانين : خاضعين . فرائصهم ؛ الفريصة :اللحم الذي بين الكتف و الصدر . ترعد : ترجف .

(٣) يصيخون : يُنصتون إلى كلامه .

(٤) كروبية : هم سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل واسرافيل ، (ينظر: اللسان) .

(٥) تفصد الدم : سال .

(٦) العباد : الملائكة .

ليكُ السَّمواتِ الشِّدادِ وأرضِها   ولَيس بِشَيءٍ فوقَنا يَتأَوَّدُ (١)
ـوَ اللهُ باري الخَلقِ والخلقُ كُلُّهمْ   إماءٌ لهُ طَوعاً جميعاً وأَعبُدُ
وأَنّى يكونُ الخلقُ كالخالقِ الذي   يَدومُ ويَبقى، والخَليقةُ تَنفَدُ

ـيس لِمَخلوقٍ على الخَلقِ جُدَّةٌ   ـن ذا على مَرِّ الحوادثِ يَخلُدُ (٢)
يَفنى، ولا يَبقى سِوى القاهرِ الذي   ـمِيتُ ويُحيِي دائماً لَيس يَمهَدُ
ـبِّحُهُ الطَّيرُ الكَوامنُ في الخَفا   ـهِيَ في جَوِّ السَّماءِ تَصعَّدُ
ـن خَوفِ ربّي سَبّحَ الرّعدُ فوقَنا   ـبّحهُ الأشجارُ والوَحشُ أُبَّدُ
ـسَبَّحهُ النِّينانُ والبحرُ زاخراً   ـا ضَمّ من شَيءٍ وما هُوَ مُقلِدُ (٣)
ألاَ أَيُّها القلبُ المُقيمُ على الهوى   ـى أيّ هذا الدّهرِ منكَ التّصدّدُ
ألا إنَّما الدُّنيا بَلاغٌ وبُلغَةٌ   ـنويلِ الفَتى فيها مَهيبٌ مُسوَّدُ (٤)
انْقلبتْ عنهُ وزالَ نَعيمُها   ـسبحَ مِن تُربِ القُبورِ يُوسَّدُ
ـفارقَ رُوحاً كانَ بينَ جَناحِه   ـاورَ مَوتى مالهمْ مُتَرَدَّدُ
ـأيَّ فتىً قبلي رأَيتُمْ مُخَلَّداً   ـهُ في قَديمِ الدَّهرِ ما يَتزوَّدُ
ـستَ تَرى فيما مَضى لكَ عِبرةً   ـهْ لا تكنْ يا قلبُ أَعمى تَلدَّدُ (٥)
ـنْ خائفاً لِلمَوتِ والبَعثِ بعدَهُ   ـكُ فِيمَنْ غَرَّهُ اليومُ أوغَدُ
ـنَّكَ في دُنيا غَرورٍ لأهلِها   ـبها عَدُوٌّ كاشحُ الصَّدرِ يُوقِدُ (٦)
ـاكنُ أَقطارِ الرَّقيعِ على الهَوا   ـن دُونِ عِلمِ الغَيبِ كُلٌّ مُسهَّدُ (٧)
ـولا وَثاقُ اللهِ ضَلَّ ضَلالُنا   ولَسَرَّنا أَنّا نُتَلُّ فَنُوأَدُ (٨)
ـرى فيهِ أَخبارَ القُرونِ التي مَضتْ   ـبارَ غَيبٍ في القِيامةِ تَنجُدُ (٩)
ـلَيس بِها إلاَّ الرَّقيمُ مُجاوِراً   ـصِيهُمْ والقومُ في الكَهفِ هُمَّدُ (١٠)
ـنَ الحِقدِ نِيرانُ العَداوةِ بَينَنا   ـلأَقالَ ربّي لِلملائكةِ اسْجُدوا

---

(١) التأود : التّثني والاعوجاج .

(٢) جدة : طريق .

(٣) النينان : جمع نون : الحوت . وماهو مقلد : ما أطبق عليه البحر .

(٤) بلاغ وبلغة : ما يُتَبَلَّغ به ويُتوصّل إلى الشيء المطلوب ، أي: كفاية . مسود : سيد .

(٥) تلدد : تتلفّت يميناً وشِمالاً في حَيرة .

(٦) العدو : هو الشيطان الرجيم .

(٧) الرقيع : اسم للسماء الدنيا ، (ينظر: اللسان) .

(٨) وثاق الله : حبله . نتل : نُصرَع . نوأد : نُدفَن ، أو نموت ونحن أحياء .

(٩) تنجد : تتبيّن وتتّضح .

(١٠) الرقيم : لوح فيه أسماء أصحاب الكهف وأخبارهم .

لآدَمَ لَمّا كمّلَ اللهُ خَلقَهُ   وَخروُا لـهُ طَوعاً سُجوداً وكدّدُوا (١)
وقال عَدُوُّ اللهِ لِلكِبرِ والشّقا :   ين على نارِ السَّمومِ فَسوّدوا (٢)

رجهُ العِصيانُ من خَيرِ مَنزلٍ   ذاكَ الذي في سالفِ الدَّهرِ يَحقدُ
علينا، ولا يَألو خَبالاً وحِيلةً   ردَهَا ناراً، عليها سَيُورَدُ (٣)
جَحيماً تَلظّى لا يُفتَّرُ ساعةً   دَرٌّ منها آخِرَ الدَّهرِ يَبرُدُ
ا لَكَ في الشيطانِ والنّارِ أُسوَةٌ   ما صَلِيتَ النارَ بل أَنتَ أَبْعَدُ
هُوَ القائدُ الداعي إلى النّارِ لابثاً   وردَنا منها ولا يَتَورَّدُ
ما لَكَ في عُذرٍ وطاعةِ فاسقٍ   الَكَ في نارٍ صُلِيتَ بها، يَدُ (٤)

وفي هذه القصيدة يتَّضحُ التّوحيدُ ويَقرُبُ من الإسلام الحنيف ، وتَصِلُ معاني أبياتها بآيات مباركات من القرآن الكريم : (وعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ)(٥)، (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ)(٦) ، يَتَكَلَّمُونَ)(٦) وقوله (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ # يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ)(٧) (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً)(٨) ، (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)(٩)، (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) (١٠) (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)(١١) ، (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ)(١٢)، (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) (١٣) .

.

---

(١) كددوا : ألحّوا في السجود .

(٢) السموم : الرياح الحارة . فسودوا : جعلوا السيادة للانسان .

(٣) يألو : يُقصّر . الخبال : الفساد .

(٤) ديوان أميَّة ، ص٣٨-٤٨ .

(٥) سورة طه، ١١١/٢٠ .

(٦) سورة النبأ، ٧٨/ ٣٨ .

(٧) سورة الأنبياء، ١٩/٢١- ٢٠ .

(٨) سورة الجن ، ٨/٧٢ .

(٩) سورة آل عمران ، ٣ / ١٨٩

(١٠) سورة البقرة ، ٢ / ٢٥٨ .

(١١) سورة النور ، ٢٤ / ٤١ .

(١٢) سورة الرعد ، ١٣ / ١٣ .

(١٣) سورة الكهف ، ٩/١٨ .

وعن مَغزى الخَلق يرتجزُ أميةُ ؛ دالا على وحدانيتهِ جل شانه :

لم تُخلَقِ السماءُ والنجومُ

ـمْسُ مَعَها قَمَرٌ يَعومُ

ـدَّرَةُ المُهيمِنُ القَيُّومُ (١)

جَسْرُ والجنَّةُ والجَحيمُ
إلاَّ لأَمرٍ شأْنُهُ عظيمُ (٢)

وقد قال الخلاّق : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ)(٣) .

ويذكرُ أميةُ ملائكةَ السماء مرّةً أخرى : (من الوافر)

بإذنِ اللهِ فاشْتدَّتْ قِواهُمْ   على مَلَكَيْنِ وَهْيَ لهمْ وِثابُ (٤)

وفيها مِن عِبادِ اللهِ قومٌ   مَلائكُ ذُلِّلوا وهُمُ صِعابُ (٥)

ويُعيدُ قضيَّةَ سجودِ الملائكة لآدمَ 7 ، وعصيانِ إبليسَ اللعين : (من الكامل)

وبإذنهِ سَجَدوا لآدمَ كلُّهمْ   إلاَّ لعيناً خاطئاً مَدحورا (٦)

ولامتناع الشيطان من السجود ؛ طرَدَه ربُّ العِباد : (من المتقارب)

قال لإبليسَ رَبُّ العِبادِ   اخرُجْ دَحيراً لَعيناً ذَؤومَا (٧)

---

(١) القيوم : القائم بكل شيء ، وهو الله Y .

(٢) ديوان أمية ، ص١٢٩- ١٣٠ .

(٣) سورة الدخان ، ٤٤ / ٣٨-٣٩ .

(٤) الوثاب: السرير أو الفراش ، وأراد (هنا) : السماء ، أي: أن السماء مقاعد الملائكة ، (ينظر: تاج العروس) .

(٥) ألحقَ البيتُ الثاني بالأول ؛ لاتحادِ هما معنىً ومبنى .
ديوان أميَّة ، ص٢٦ .

(٦) المدحور : المطرود .
ديوان أمية ، ص ٧٠ .

(٧) ذؤوماً : مذموماً بأبلغ الذمّ، (ينظر: التفسير الكبير)،ذأم الرجلَ يذأمه ذأماً: حقّره وعابَه، (ينظر: لسان العرب) .

وعن هذا اللَّعين ، يقولُ أيضاً : (من الخفيف)

ـــولَ شَـــيطانِهمْ أَبابِيـــلُ رِبِّيْـــــ   ونَ شَـــدُّوا سِـــنَوَّراً مَدْسُـــوراَ [1]

وقد خَلقَ اللهُ تعالى ، أولَ البَشرِ من طين : (من الكامل)

كَيــفَ الجُحــودُ، وإنَّمــا خُلــقَ الفَتــى   ــن طــينِ صَلصــالٍ لــه فَخّـلرُ [2]

قال سُبحانه : (خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) [3] .

وعن الأرض والإنسان ، يقولُ أمية : (من البسيط)

منهــا خُلِقنــا وكانــتْ أمّنــا خُلِقــتْ   ونحــنُ أبناؤهــا لــو إنّنــا نشُــكُرُ

وطعنــةُ اللهِ فــي الأعــداءِ نافــذةٌ   تُعيــي الأطبــاءَ لا تَثــوي لهــا السُّبُرُ [4]

فَمنُ شكرَ فَلنفسهِ ، ومَن كَفرَ فلا يَخفى على القَويّ العزيز ..

قَصَصُ الأنبياء :

لكن من رحمةِ الله تعالى ورأفته بِعبادهِ أنَه يُرسلُ الرّسُلَ مُحذّرينَ منذرين وداعين مُبشّرين.. والنبوةُ والأنبياءُ؛ موضوعٌ معروف عند العرب عامةً ، إذ كانت الجزيرةُ العربية مسرحاً لرسالاتِ السماء التي تُمثّلُ دينَ اللهِ الواحد ، وهو الإسلامُ الذي ارتبطَ بالمراحل التاريخية للرُّسل والقبائل ..

وهذا أميةُ يتحدَّثُ في عدّة قصائدَ عن سيّدنا نوح υ وسفينته وطُوفانه وابنه وقومه ، وهو يذكرُ صُنْعَ اللهِ القدير .. يُشيرُ – هنا – إلى انتساب سيّدنا نوح υ إلى أبي البشر آدم υ : (من الخفيف)

ـــمِعَ اللهُ لابـــنِ آدمَ نُـــوحٍ   ربّنـــا ذو الجَـــلالِ والإفضـــالِ

حـــين أفضـــى بِـــذي الحمامـــةِ والنّـــا   سُ جميعـــاً فـــي فُلكـــهِ كالعِيـــالِ [5]

ديوان أمية ، ص١١٣ .

[1] أبابيل : فِرَق . السنور : الحديد . المدسور : الشديد القوى .

ديوان أمية ، ص ٨٧ .

[2] م. ن . ص٨٢ .

[3] سورة الرحمن ، ١٤/٥٥ .

[4] تثوي : تُقيم وتستقِرّ . السبر : جمع سِبار : ما يُقدَّرُ به غَورُ الجراحات ، وهو أيضاً : الفتيلة تُجعل في الجُرح . ديوان أمية ، ص٨١ .

[5] بذي الحمامة : الطوق الذي قيل إنّ نوحاً υ ، منحه إياها .

فرَشَاها على الرِّسالة طَوقاً   خضاباً علامةً غيرَ بالِ [١]

فأتتْهُ بالصِّدقِ لمّا رَشاها   وبِقطفٍ لمّا بَدا عِثكالِ [٢]

ـينَ فيها مِن كلِّ ما عاشَ زَوجٌ   ـين ظَهرَيْ غواربٍ كالجبالِ [٣]

ج

قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ)[٤] .

وفي قصيدةٍ أخرى يُخبرُنا أميةُ عن مَسير السفينة مُهتديةً إلى طريقها: (من الطويل)

فسارتْ بِهمْ أيّامَها ثُمّ سبعةً   وسِتّ ليالٍ دائباتٍ غَواطِيَا [٥]

تَشُقُّ بِهمْ تَهوي بِأحسَنِ إمرَةٍ   كأنَّ عليها هادياً ونُواتِيَا [٦]

وكانَ لها الجُوديُّ نَهياً وغايةً   وأصبحَ عنه مَوْجُهُ مُتَراخِيَا

وما كانَ أصحابُ الحمامةِ خِيفةً   غَداةَ غَدتْ منهم تَضُمُّ الخَوافِيَا

رسولاً لهمْ واللهُ يُحكِمُ أمْرَهُ   يُبلِيهُمْ هل بُرنسُ التُّربِ باديَا [٧]

استعار البرنسَ للترابِ ، لأن نوحاً υ أرسل الحمامة لكي ترى مكاناً يابساً في الأرض يكون مَرفأً للسفينة فرجعت إليه بِقطف ، فوهبها الطوق الذي في عُنقها [٨] :

وَجاءتْ بِقطفٍ آيةً مُستبينةً   فأصبحَ منها مَوضعُ الطينِ جاديَا[١]

---

[١] غير بال : لا يبلى .

[٣] القطف : ما قُطف من ثمار الشجر . عثكال : مُتفّ ، وهو : قِنوُ النخلة

[٣] غوارب الماء : أعاليه ، أو أعالي موجه .

ديوان أمية ، ص١٠٧- ١٠٨ .

[٤] سورة هود ، ٤٠/١١.

[٥] غواطيا ؛ غطّاه الليل: ألبسه ظلمته ، (ينظر: لسان العرب) .

[٦] النواتي : المَلاح .

[٧] البرنس : الثوب الذي يلتصق به أعلاه .

[٨] ينظر: الحيوان ، ٣٢١/٢ .

على خَطمِها واستوهَبتْ ثَمَّ طَوقَها وقالتْ ألا لا تجعلِ الطَّوقَ حاليا(٢)

يكونُ لأولادي جَمالاً وزينةً وعُنوانَ زَيني زِينةً مِن تُرابِيا(٣)

ويذكرُ صُنعَ اللهِ تعالى وعظمته وألاَّ يُعجِزَ قُدرته أحد : (من البسيط)

عَرفتُ أنْ لَن يَفُوتَ اللهَ ذو قَدَمٍ إنَّهُ مِن أميرِ السُّوءِ يَنتقمُ

المُسبِّحُ الخُشُبَ فوقَ الماءِ سَخَّرها خِلالَ جِرْيتِها كأنَّها عُوَمُ (٤)

تَجري سفينةُ نوحٍ في جوانبِهِ بِكلِّ مَوجٍ مِنَ الأمواجِ تَقتحمُ

نُودِيَ قُمْ واركَبَنَّ بأهلِكَ إنْ نَ اللهَ مُوفٍ لكلِّ الناسِ ما زَعَموا

مَشحونةً ودُخانُ المَوجِ يَرفعُها مَلأى وقد صُرِعتْ مِن حولِها الأُمَمُ

حتى تَسوَّتْ على الجُوديِّ راسيةً بكلِّ ما استوعَبَتْ كأنَّها أُطُمُ (٥)

وذلك كقوله سبحانه: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ)(٦) (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)(٧) (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ)(٨) .

---

(١) الجادي : الزعفران ، أي: صار لون خَطمها كالزعفران .

(٢) الخطم من كل طائر : منقاره .

(٣) ترابيا : التراب الذي جاءت به آيةً على وجود يابسة .
ديوان أمية ، ص١٥١-١٥٢ .

(٨) العوم : جمع العُومة ، كأنها حية تكون بصمان ، والصامة : شبه الطوف إلا أنه أصغر منه يُركب فيه البحر.
ينظر: خزانة الأدب، ٤/٤ .

(٩) تسوت: استقرت . الجودي : جبل في العراق . الأطم : حصن مبني من الحجارة ، وقيل : كل بيت مربَّع مسطَّح.
ديوان أمية ، ص١١٧ .

(٦) سورة الجاثية، ١٢/٥٤ .

(٧) سورة هود، ٤٢/١١ .

(٨) سورة هود ، ٤٤/١١ .

لهذا صار سيِّدُنا نوح υ الأبَ الثاني للبشرية، وفي سفينته يقولُ أميةُ أيضاً (من الخفيف)

مُحِجٌّ ذي الخَيرِ مِن سَفينةِ نوحٍ   يومَ بادتْ لُبنانُ مِن أُخراها [1]

فارَ تَنُّورُهُ وجاشَ بِماءٍ   طَمَّ فوقَ الجبالِ حتى عَلاهَا

قِيلَ لِلعَبدِ سِرْ فَسَارَ وباللـ   ـهِ على الهَولِ سَيرُها وسُراهَا

قِيلَ فاهبِطْ فقد تَناهتْ بكَ الفُلْـ   ـكُ على رأسِ شاهقٍ مُرساهَا [2]

كما جاء في الآية الكريمة: (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا) [3] .

وشَبَّهَ أُميّةُ سُرعةَ السفينة بإطلاق سَهم المَوتُور : (من الخفيف)

ـيَ تَجري فيهِ وتجسُرُ البَحْـ   ـرَ بإقلاعِها كقِدْحِ المُغالي [4]

وقال في الطوفان الذي جعله اللهُ تعالى هلاكًا للعُصاة : (من الكامل)

ويُنفِّذُ الطُّوفانَ نحنُ فِداؤهُ   واقْتاتَ شَرْجَعُهُ بَداحٌ بَدْبَدُ [5]

ومن القبائل العربية البائدة ، ثَمودُ التي أَرسلَ اللهُ تعالى ، إليها سيِّدَنا صالحًا υ ، فطلبوا منه ناقةً تخرجُ من صخرةٍ ؛ آيةً لِتَصديقه ، لكنهم عَقَرُوها ؛ فَأهلكهمُ اللهُ بِظُلمهم ، يتحدَّثُ أُميَّةُ عنها: (من الخفيف)

كثَمُودَ التي تَفَتَّتِ الدِّينَ   عُتباً وأُمُّ سَقبٍ عَقيرا [6]

ناقةُ الإلهِ تَسرحُ في الأرضِ   وتَنتابُ حولَ ماءٍ مُبيرا [1]

---

[1] بادت لبنان : ظهرت جبال لبنان .

[2] ديوان أمية ، ص ١٤٩ .

[3] سورة هود ، ١١ /٤٨ .

[4] تجسر : تعبر . القدح : السهم . المغالي : طالب الثأر .
ديوان أُمية ، ص١٠٤ .

[5] اقتات: توسَّع . الشرجع : السرير. بداح بدبد : واسع .المعنى : أنه الباقي ونحن الهالكون .
ديوان أمية ، ص٥٨ .

[6] عتبًا : تجنياً عليه . السقب: ولد الناقة .

فأتاها أُحَيمرٌ كأخي السهمِ   بعَضْبٍ فقالَ : كُوني عَقيرا (٢)

فأبَتَّ العُرقُوبَ والسّاقَ منها   مَشَتْ في دِمائها مكسورَا (٣)

فرأى السقْبُ أمّهُ فارَقتْهُ   بعدَ إلفٍ حَنيَّةً وظُؤورَا (٤)

فأتى صَخرةً فقامَ عليها   صَعقَةٌ في السماءِ تعلُو الصخورَا

فرَغَا رَغوةً فكانتْ عليهمْ   رَغوةَ السقبِ دُمّرُوا تَدميرا (٥)

قال الله تعالى في قصة (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)(٦) ، (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٧) .

إن خليلَ الرحمن υ أبو الأنبياء ؛ تنتسبُ إليه الحَنيفيّةُ البَيضاء .. يَروي أميةُ قيامَ سيِّدِنا إبراهيم υ - بأمرِ اللهِ تعالى - بذَبحِ ابنهِ الوحيد إسماعيلَ υ الذي أجاب أباه ، بقوله : شُدَّ أغلالك شدّاً متيناً حتى تُصيبَ السكينُ المَقتلَ . ثُمّ فِداؤهُ ذِبحٌ عظيم : (من الخفيف)

لإبراهيمَ المُوفّيَ بالنّذْ   رِ احْتساباً وحاملِ الأجزالِ (٨)
بِكرهُ لم يكنْ لِيَصبِرَ عنهُ   أو يَراهُ في مَعشَرٍ أقتالِ (٩)
أبُنيَّ إنّي نَذَرتُكَ للّـ   ـهِ شَحيطاً، فاصْبِرْ فِدىً لكَ خالي (١٠)
فأجابَ الغُلامُ أنْ قالَ فيهِ   كلُّ شيءٍ للهِ غيرُ انتِحالِ (١١)
أبَتي إنّني جَزيتُكَ باللّـ   ـهِ تقَيّاً بهِ على كلِّ حالِ

---

(١) ماء مدير : مُحاط بالطين لئلا ينشف .

(٢) أُحيمر : قاتل الناقة . العضب : السيف القاطع .

(٣) أبتّ : قطع . مكسوراً ؛ يعود على الساق .

(٤) الظؤور: جمع ظِئْر : الأنثى العاطفة على ولد غيرها .

(٥) السقب (هنا): الطويل من كل شيء . رغوة السقب : رغوة قوية صادرة عن مصدر قوي.
ديوان أمية ، ٧٥-٧٦ .

(٦) سورة الأعراف ، ٧٧/٧ .

(٧) سورة الشعراء ، ١٥٥/٢٦-١٥٦ .

(٨) الأجزال : القطع الكبيرة من الحطب .

(٩) بكره : ابنه الأول . أقتال : الأقران في القتال وغيره .

(١٠) شحيطاً : المذبوح الذي يحتضر .

(١١) غير انتحال : غير ادعاء حتى في الموت .

ـاقْضِ ما قد نَذَرتَ للهِ واكْفُفْ   عَن دَمي أَن يَمسَّهُ سِربالي
واشْدُدِ الصفدَ لا أَحيدُ عن السكيـ   ـن حَيدَ الأسيرِ ذي الأغلالِ
إنَّني آلَمُ المَحزَّ وإنِّي   أَمَسُّ الأذقانَ ذاتَ السِّبالِ [1]
ولهُ مُديةٌ تَخايَلُ في اللحْـ   ـمِ هُذامٌ جَليَّةٌ ، كالهلالِ [2]

ولِعزم سيدنا إبراهيم υ وصلابته ، جعل اللهُ تعالى عُنُقَ ابنه قويا كالنحاس لئلا تؤثر فيه السكين :

ـعلَ اللهُ جِيدَهُ مِن نُحاسٍ   رآهُ زَولاً مِنَ الأزوالِ [3]
بَينما يَخلَعُ السَّرابيلَ عنهُ   فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَبشٍ جُلالِ [4]
قالَ خُذهُ وأرسِلِ ابنَكَ إنّي   لِلَّذي فَعلتُما غيرُ قالِ

ـوالِدٌ يتَّقي وآخَرُ مَولُو   فطارَا منهُ بِسَمعٍ فِعالِ [5]

وآمنَ لسيدنا إبراهيم υ ابنُ أخيه لُوط υ ، وقد أرسلَهُ اللهُ تعالى نبيّاً .. يقُصُّ أُميَّةُ قِصَّةَ لُوط υ مع القبيلة التي أُرسِلَ إليها : (من الخفيف)

ثَمَّ لُوطٌ أخُو سَدُومَ أتاهَا   إذ أتاهَا بِرُشدها وهُداهَا [6]

راوَدُوهُ عن ضَيفِهِ ثُمَّ قالوا: قد نَهيناكَ أنْ تُقيمَ قِراهَا

عَرَضَ الشَّيخُ عندَ ذاكَ بَناتٍ   كَظِباءٍ بِأَجْرَعٍ مَرعاهَا [7]

ضِبَ القومُ عندَ ذاكَ وقالوا: أيُّها الشَّيخُ خُطبةٌ نأباهَا

---

[1] المحز : موضع القطع ، يقصد : العنق . السبال : ما على الأذقان إلى طرف اللحية من الشعر .

[2] هذام : قاطعة .

[3] الزول : الشجاع .

[4] جلال : عظيم .

[5] سمع فعال : ذكر جميل .

ديوان أمية ، ص١٠٨-١١٠ .

[6] سدوم : اسم قاضي مدينة من مدائن قوم لوط υ ، سُمِّيت المدينة باسمه ، (ينظر : معجم البلدان) .

[7] العُرْضة من النساء : البِكر قبل أن تُحجَب ، وذلك أنها تُعرَضُ على أهل الحَيّ عَرضةً لِيُرغِّبوا فيها مَن يرغب ثم يَحجبونها . الأجرع : الأرض الطيبة المنبت .

أَجمَعَ القومُ أَمرَهمْ وعَجوزٌ   خيَّبَ اللهُ سَعيَها ورَجاهَا

أرسلَ اللهُ عندَ ذاكَ عذاباً   جعلَ الأرضَ سُفلَها أعلاهَا
اها بِحاصبٍ ثُمَّ طِينٍ   ذي حُروفٍ مُسوَّمٍ إذ رَماهَا (١)

قال اللهُ تعالى في هذه القصة: (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ) (٢)، (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) (٣)، (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا) (٤) ، (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ) (٥).

وذكرَ أميةُ أنبياءَ اللهِ تعالى هود وداود 8، وتقريبَ موسى υ منه جلَّ وعلا بتكليمهِ : (من الخفيف)

حَيّ داودُ وابنَ عادٍ ومُوسى   وفَريعٌ بُنيانُهُ بالنِّقالِ (٦)

هُوَ مَن أقربِ الأنامِ إلى اللـ   ـهِ كقُربِ المِدادِ لِلمنوالِ (٧)

يقول: حينما كلَّمَ اللهُ تعالى ، موسى υ ، كان قريباً إليه كقرب عصا الحائك من الخشبة التي ينسج عليها الثوب .

وقد جاء في الذكر الحكيم عن تجبّرِ فرعون وكفره: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(٨) ، وعن وَجاهةِ سيِّدنا موسى υ وكرامته عند ربِّه: (وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً) (٩) .

ومن حديث أميةَ في قصة سيِّدنا موسى υ ما فيه تَوافقٌ مع آي الذِّكر الحكيم: (من البسيط)

---

(١) الحاصب : الريح الشديدة التي تحمل التراب والحصباء . الحروف : النتوءات . المسوم : المكلف والمسخر .
ديوان أمية، ص١٤٨-١٤٩ .

(٢) سورة القمر ، ٣٧/٥٤ .

(٣) سورة هود ، ٧٩/١١ .

(٤) سورة هود ، ٨٢/١١ .

(٥) سورة الذاريات ، ٣٢/٥١-٣٤ .

(٦) فريع : فرعون ، (ينظر: التاج) . النقال : الحجارة .

(٧) أُلحق البيتُ بسابقه لاتحادهما مبنىً ومعنى . المداد : العصا يُنسَج عليها الثوب . المنوال : أداة الحائك .
ديوان أمية ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(٨) سورة القصص ، ٣٨/٢٨ .

(٩) سورة مريم ، ٥٢/١٩ .

قالتْ لأُختِهِ قُصِّيهِ عَنْ جُنُبٍ وكيفَ تَقفُو بِلا سَهلٍ ولا جُدُدِ (١)

قالَ الله تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) (٢) .

وقال أميةُ في طُغيانِ فِرعونَ ونهايته : (من الخفيف)

ولفرعونَ إذ تَساقَى لهُ الماءُ فهلّا للهِ كانَ شَكورًا (٣)

قالَ : إنّي أنا المُجيرُ على النا سِ ولا رَبَّ لي عليَّ مُجيرا

فَمحاهُ الإلهُ مِن دَرجاتٍ ساميات ولم يكُنْ مَقهورًا (٤)

سُلِبَ الذِّكرَ في الحياةِ جَزاءً وأراهُ العذابَ والتَّعييرا

وتَداعى عليهِمُ المَوجُ حتّى سارَ مَوجًا وراءَهُ مُستطيرا

فَدعَا اللهَ دَعوةً لاتَ هَنّا بَعدَ طُغيانِهِ فَظلَّ مُشيرا (٥)

فَرأى اللهُ أنّهُمْ بِمَضيعٍ لا بِذي مَزرَعٍ ولا مَعمُورًا (٦)

قال الله تعالى: (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) (٧) .

وينقلُ أميةُ دُعاءً لسيدنا داوُد υ : (من الخفيف)

قالَ رَبّي إنّي دَعَوتُكَ في الفَجْـ ـرِ فأَصلِحْ على يَديَّ اعْتِمالي

إنّني زارِدُ الحَديدِ على النا سِ دُروعًا سَوابِغَ الأذيالِ

---

(١) قصيه : تتبعي أثره . الجُنب : البُعد . تقفو : تتبع . الجدد : الأرض الغليظة .
ديوان أمية ، ص ٦١ .

(٢) سورة القصص ، ١١/٢٨ .

(٣) تساقى : تدافعَ الماءُ أمامَهُ .

(٤) مقهور : مغلوب .

(٥) لات هنا : ليس هنا ما أردتُ حين ذاك . مُشيراً ؛ بيده في دعاء ربه أن يُنجيَه من الغرق .
ينظر : هامش تفسير الطبري ، ٣٠٨/١ .

(٦) مضيع : دار ضياع وهوان وهلاك .
ديوان أميةُ ، ص ٧٧ .

(٧) سورة الإنسان ، ٧/٧٦ .

لا أرى مَن يُعينُني في حَياتي   غَيرَ نَفْسي إلا بَني إسْرالِ [1]

قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [2] .

وعن مُلكِ سيِّدنا سُليمانَ ، وما سَخَّرَ له اللهُ سبحانَهُ، يقولُ أمية : (من الخفيف)

وسُليمانُ إذ يَسيلُ لهُ القِطْرُ   على مُلكِهِ ثَلاثَ لَيالِ
أيَّما شاطِنٌ عَصاهُ عَكاهُ   ثُمَّ يُرمَى في السِّجنِ والأغلالِ [3]

ويحكي أميةُ قصةَ سيِّدنا عيسى υ وأُمِّهِ الصِّدِّيقة : (من الطويل)

وفي دينِكُمْ مِن رَبِّ مَريمَ آيةٌ   مُنَبَّئَةٌ بِالعبدِ عيسى بنِ مَرْيَمِ
أنابَتْ لِوَجهِ اللهِ ثُمَّ تَبتَّلَتْ   فَسَبَّحَ عنها لَومَةَ المُتَلَوِّمِ [4]
فَلا هِيَ هَمَّتْ بِالنِّكاحِ ولا دَنَتْ   إلى بَشَرٍ منها بِفَرجٍ ولا فَمِ
ولَطَّتْ حِجابَ البيتِ مِن دُونِ أهلِها   تَغَيَّبُ عنهمْ في صَحارَى دَمْدَمِ [5]
يَحارُ بها السّاري إذا جَنَّ لَيلُهُ   ولَيسَ وإنْ كانَ النَّهارُ بِمُعْلَمِ
تَدلَّى عليها بَعدَما نامَ أهْلُها   رَسولٌ فَلَمْ يَحصَرْ ولَمْ يَتَرَمْرَمِ [6]
فقالَ : ألا لا تَجزَعي وتُكَذِّبي   مَلائكةً مِن رَبِّ عادٍ وجُرْهُمِ

---

[1] إسرال : صفوةُ الله أو عبدُه (بالعبرانية) ، لقب يعقوب υ ، (ينظر : تاج العروس) .
ديوان أُمية ، ص ١٠٥ .

[2] سورة سبأ ، ٣٤ / ١٠- ١١ .

[3] أُلحقَ بالبيت السابق لاتحادهما مَبنىً ومعنى . الشاطن : البعيد عن الحق ، ومنه الشيطان . عكاه : شدَّه بالحديد .
ديوان أُمية ، ص ١٠٥-١٠٦ .

[4] سبح عنها: نَزَّهها عيسى υ عمّا تُلامُ عليه .

[5] لطت : أسدلت . دمدم : موضع .

[6] الحصر : ضرب من العِيّ . يترمرم : يصمت .

أُنَبّي وأُعطي ما سُئلتُ فإنني   رَسولٌ مِنَ الرحمنِ يأتيكِ بابنمِ
فقالتْ لَهُ: أنّى يكونُ ولَمْ أكُنْ   بَغِيّاً ولا حُبلى ولا ذاتَ قَيّمِ (١)
أأُحرجُ بالرحمنِ إنْ كُنتَ مُسلِماً   كلامِيَ فاقْعُدْ ما بَدا لَكَ أو قُمِ
فَسبّحَ ثُمّ اغترّها فالْتقتْ بِهِ   غُلاماً سَوِيَّ الخَلقِ لَيسَ بِتَوأمِ

بِنَفْخَتِهِ في الصّدرِ مِنْ جَيبِ دِرعِهَا   وما يَصرمُ الرحمنُ مِنْ أمرٍ يَصرِمِ (٢)
فلمّا أتمّتْهُ وجاءَتْ لِوَضعِهِ   فَآوى لَهُمْ مِن لَومِهِمْ والتّندّمِ (٣)
وقالَ لَها مَنْ حَولَهَا: جِئتِ مُنكَرًا   فَحُقٌّ بِأنْ تُلحَيْ عليهِ وتُرجَمي
فأدركَهَا مِنْ رَبّهَا ثَمّ رَحمةً   بِصِدقِ حَديثٍ مِن نَبيٍّ مُكلّمِ
فَقالَ لَهَا: إنّي مِنَ اللهِ آيةٌ   وعَلّمَني، واللهُ خَيرُ مُعلِّمِ
وأُرسِلتُ لَمْ أُرسَلْ غَوِيّا ولَمْ أكُنْ   شَقِيّا ولَمْ أُبعَثْ بِفُحشٍ ومأثَمِ (٤)

وقد حكتْ سُورةُ مَريمَ هذه القصّة: (واذكُرْ في الكِتابِ مَرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً)(٥)، (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ

---

(١) القيم: الزوج .
(٢) مل أمر: من الأمر. يصرم: يُقطَع .
(٣) آوى: رجع لومُهم إياها على مافعلتْه .
(٤) ديوان أمية، ص ١٣٠-١٣١ .
(٥) سورة مريم، ١٩/١٦-١٧ .

يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً)[1] (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً)[2]، (وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً)[3] .

سبيلُ الأنبياء :

رَوَى الماورْدي في أعلام النبوة : أنَّ عبدَ المطلب بنَ هاشم ، نَذَرَ أنَّه متى رُزِقَ عَشَرَةَ أولادٍ ذُكوراً ، ورآهم بَينَ يَدَيهِ رِجالاً .. أنْ ينحرَ أحدَهُمْ في الكعبةِ شُكراً لربِّهِ ، حِينَ عَلِمَ أنَّ إبراهيمَ عليه السلام أُمِرَ بذَبحِ وَلَدِهِ ، تَصوراً منه أنَّهُ أفضلُ قُربةٍ . فلما اسْتكمَلَ وُلْدُهُ العددَ ، قالَ لهمْ : يا بَنيَّ كنتُ نذرتُ نَذراً عَلِمتُمُوه فما تَقولُون ؟ قالوا: نَحنُ بين يَديكَ . فقالَ : لِينطَلِقْ كلُّ واحدٍ منكمْ إلى قِدْحِهِ ، ولْيَكْتُبْ عليه اسْمَهُ ، فَفَعلوا ، فجَعلَ يرتَجز :

اهدْتُهُ وأنَا مُوفٍ عَهْدَهُ
إللهُ لا يُحمَدُ شَيءٌ حَمدَهُ
كانَ مَولايَ وكُنتُ عَبدَهُ
ذَرتُ نَذراً لا أُحِبُّ رَدَّهُ

وكان أحبُّ وُلدِ عبدِ المُطّلبِ إليهِ عَبدُ الله ، فضَربَ صاحبُ القِداحِ السِّهامَ ، فخرجَ على عَبدِ الله، فأخَذَ عبدُ المُطلبِ الشفرةَ وأتى بعبدِ الله وأضجَعَهُ، وأنشأَ مُرتجِزاً :

هدْتُهُ وأنَا مُوفٍ نَذْرَهُ
هُ لا يَقدِرُ شَيءٌ قَدْرَهُ
ذا بُنَيَّ قد أُريدُ نَحرَهُ
يُؤَخِّرْهُ تَقبَّلْ عُذرَهُ

فوثب إليه أبو طالب ، وكانَ أخَا عبدِ اللهِ لأبيهِ وأُمِّه ، وأمسَكَ يدَ أبيهِ، وقامَ مُرتجِزاً :

---

[1] سورة مريم، ٢٠/١٩ .

[2] سورة مريم، ٢٧/١٩ .

[3] سورة مريم، ٣٢/١٩ .

لاَّ وربِّ البَيتِ ذي الأَنصابِ (١)

ا ذَبحُ عَبدِ اللهِ بِالتِّلعابِ

ا شَيبَ إنَّ الرِّيحَ ذُو عِقابِ (٢)

لَنا جَرةَ الخِطابِ (٣)
والَ صِدقٍ كَلُيُوثِ الغابِ

يعني أَنَّ تَعذيبَكَ عبد الله بِذَبحهِ، يُعاقبُكَ عليهِ الله، إذ كان من المُتأَلِّهِينَ المُعتقدين بِالنُّشور والجزاء. وقد كنّى بالخطاب عن حضوره.

فلمّا سَمِعتْ بَنُو مَخزومٍ، قالوا: صَدقَ ابْنُ أُختِنَا. ووَثَبُوا إلى عَبدِ المُطَّلبِ، فقالوا: يا أَبا الحارث لا نُسلِمُ ابنَ أُختِنا لِلذبحِ، فقال: إنّي نَذَرتُ نَذراً وقد خَرَجَ القِدحُ، ولا بُدَّ مِنْ ذَبحِهِ، قالوا: إنّا نَفدِيهِ بِجَميعِ أَموالِنا مِن طارفٍ وتالِد. وأَنشأَ المُغِيرةُ بنُ عبدِ الله بنِ عُمَرِ بنِ مَخزوم، مُرتجِزاً:

ا عَجَباً مِن فِعلِ عَبدِ المُطَّلِبْ

بحِهِ إبناً كَتِمثالِ الذَّهَبْ

لاَّ وبَيتِ اللهِ مَستُورِ الحُجُبْ

ا ذَبحُ عَبدِ اللهِ فِينَا بِاللَّعِبْ
دُونَ ما يَبغِي خُطُوبٌ تَضطَرِبْ

ثمّ وثب السّاداتُ من قُريشٍ إلى عبد المطلب فقالوا: إنّكَ إنْ ذبحتَ ابنَكَ لم تَتَهنّ بالعيش بعدهُ، ولكن تثبّتْ حتى نَسيرَ معك إلى كاهنة بَني سَعد، فخرجوا إلى الشّام، فلمّا دخلوا على الكاهنة، أخبرَها عبدُ المطلب بما عَزمَ عليه، وارْتَجز:

---

(١) الأنصاب: الحدود، وهي أعلامٌ تُنصَبُ هناك لمعرفتها.

(٢) شيبة: اسم عبد المطلب. الريح؛ يستعمله العرب في العذاب، قال تعالى: (*إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً*)، سورة القمر، ١٩/٥٤.

(٣) الجرة: الجماعة من الناس، يَظعنون ويُقيمون. الخطاب: مراجعة الكلام.

ـار بِّ إنِّي فاعلٌ لِمَا تُرِدْ

نْ شِئتَ أَلهَمتَ الصوابَ والرشَدْ

ـائقَ الخَيرِ إلى كُلِّ بَلَدْ

ـدْ زِدتَ في المالِ وأَكثَرتَ العَدَدْ

فقالت الكاهنة : كمْ دِيَةُ الرجل عندكم ؟ قالوا : عَشرةٌ مِنَ الإبل . قالتْ : فارجِعوا وقدّموا هذا الغُلامَ ، وقدّموا معه عشَرةً من الإبل، ثم اضْرِبوا عليه وعلى الإبل القِداحَ ؛ فإنْ خرجَ القدحُ على الإبل فانحروها ، وإن خرج على صاحبِكمْ زِيدوا في الإبل عشَرةً عشَرةً حتى يَرضى ربُّكم. فانصرفَ القومُ إلى مكّةَ وأقبلوا عليه يقولون: يا أبا الحارث إنّ لك في إبراهيمَ أُسوةً، فقد علمتَ ما كان في عزمه من ذَبحِ ابنه إسماعيل . وأنت سيِّدُ ولدِ إسماعيل، فقدِّمْ مالَكَ دون وَلَدِك . فلمّا أصبح، غَدَا بابنه عبدِ الله إلى الذبح ، وقرّبَ معه عشرةً من الإبل . فخرجَ القدحُ على عبدالله . فجعلَها عشرين ، فخرج القدح على عبد الله .. حتى جعلها مئةً ، فخرج القدح على الإبل . فكبّرَ عبدُ الله وكبّرتْ قريش ، فضربَ الثالثةَ فخرجَ على الإبل ، فعَلِمَ عبدُ المطلب أنّه قد نال رِضاءَ ربّه في فِداءِ ابْنِه فارْتجَز :

وتُ رَبّي مُخلِصاً وجَهرَا
ـار بِّ لا تَنْحَرْ بُنَيَّ نَحرَا
وَفِ بالمالِ تَجِدْ لِي وَفرَا
يكَ مِن كُلِّ سَوامٍ عَشرَا
الحمدُ للهِ الأجلّ شُكرَا
ـتُ والبَيتِ المُغطَّى سِترَا
ـدّلا نِعمةَ رَبّي كُفرَا
ما دمتُ حيًا او ازورَ القبرَا [1]

---

[1] غاية المطالب ، ص٤٤-٤٧ .

وينظر رَجز أبي طالب في ديوانه ، ص٢٦٠-٢٦١.

وجرتِ السنّةُ في الدية بمئةٍ من الإبل إلى يومِنا . فكان عبدُ الله يُعرَفُ بالذبيح، ولذلك قال النبيّ 6 : [أنا ابْنُ الذبيحَيْنِ] [1] . ثاني الذَّبيحين : (إسماعيل بن إبراهيم) 8، وهذا من صُنعِ الله تعالى لرسوله 6 ، لِمَا قدّمه من رسالته .

ويُسمى الزمنُ الذي سَبقَ انبعاثَ خاتمِ الأنبياء 6 بـ"الفَتْرة" إذ لم يُبعثْ منذ رُفع عيسى υ حتى مبعث الرسول، إلا ثلاثةُ أنبياءَ مِنْ بَني إسرائِيلَ وواحدٌ مِنَ العَربْ هوَ خالدُ بنُ سِنانٍ العَبْسيّ [2].

قال أبو طالب [3] : (من المتقارب)

وخيرُ بَني هاشمٍ أحمدٌ   رَسولُ الإلهِ على فَترةِ [4]

قال الله Y :(ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ) [5] .

وعندما سافرَ النبيّ 6 إلى الشام مع عمّه أبي طالب قبل مَبعثِه الشريف .. رآه في بُصرى بَحيرا الرّاهب وقد تَشوّفَ فيه النُّبوّة من خلال السِمات التي رَآها في الإنجيل وفي كُتُبِ النصارى .. وكان عددٌ من اليهود حاولوا قتلَ محمدٍ 6 فتصدّى لهمْ بحيرا ، مُحاججاً إيّاهُم بِنُصوصٍ من التوراة فأقنعهم وانصرفوا عنه .. وفي هذه الواقعة توكيدٌ لوحدةِ الأديان في الإسلام ، إذ إنّهم جميعاً مؤمنون بهذا النبيّ الأُميّ سليلِ الخليل υ .

يقولُ أبو طالب فيها: (من الطويل)

وجاءَ مَعَ العِيرِ التي راحَ رَكبُهَا   شآمِيَّ الهَوى والأصلُ غَيرُ شَآمِ [6]

فلمّا هَبطنَا أرضَ بُصرى تَشوّفُوا   لَنا فَوقَ دُورٍ يَنظُرونَ عِظامِ

وَجاءَ بَحيراً عِندَ ذلكَ حاشِداً   لَنا بِشَرابٍ طيّبٍ وطَعامِ [7]

فقالَ : اجْمَعوا أصحابَكُمْ عندما رأى   فَقُلنَا : جَمَعنَا القَومَ غَيرَ غُلامِ

يَتيمٍ ، فقالَ : ادْعُوهُ إنّ طعامَنَا   لَهُ دُونَكُمْ مِن سُوقةٍ وإمامِ

---

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ٣ / ٣٥٠ .

[2] ينظر: م . ن . ٦٠٢/١ - ٦٠٣ ، عن ابن الكلبي .
وتفسير القرآن الكريم ، السيد عبد الله شُبَّر ، ص١٣٦.

[3] ويُنسبُ البيت إلى طالب ابنه ، أيضاً .

[4] غاية المطالب ، ص٥١ .

[5] سورة المائدة ، ١٩/٥ .

[6] جاء؛ محمد 6 .

[7] ترجمة بَحيرا في البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج٢.

وآلى يَميناً بَرّةً لِزادَنا   كثيرٌ عليهِ اليَومَ غيرُ حَرامِ

فَلَولا الّذي خَبّرتُمُ عن مُحَمّدٍ   لَكُنتُمْ لَدينا اليَومَ غيرَ كِرامِ
ججج

وأقبلَ رَكبٌ يَطلُبُونَ الّذي رأى   بَحِيراءُ رأْيَ العَينِ وَسْطَ خِيامِ

فَجاؤُوا وقد هَمّوا بِقَتلِ مُحمّدٍ   فَرَدّهُمُ عنهُ بِحُسنِ خِصامِ

بِتأْويلِهِ التّوراةَ حتّى تَيقّنُوا   وقالَ لَهُمْ :رُمتُمْ أَشَدّ مَرامِ

قال بَحيرا : أَرأيتم أمراً أراد اللهُ أن يَقضيَه ، هل يستطيعُ أحدٌ ردَّه ؟ قالوا : لا. ثم إنهم بايَعوه وأقاموا معه :

غُونَ قَتلاً لِلنّبيّ مُحَمّدٍ   صْتُمْ على شُؤْمٍ بِطُولِ أَثامِ

إِنَّ الَّذي يَختارُهُ ، منهُ مانِعٌ   يَكفيهِ مِنكمْ كَيدَ كُلِّ طَغامِ (١)

وذكرَ ابنُ هشامٍ الحادثةَ فقال: خرج أبو طالب في ركبٍ تاجراً إلى الشام سنةَ (٥٨٢م) فصبّ رسولُ الله 6 فرقّ له، وكانت سِنُّهُ إذ ذاك اثنتي عشرة سنةً، وقال : والله لأخرُجَنّ به معي ولا يُفارقُني ولا أُفارقُهُ أبداً. فلما نزل الركبُ بُصرى وبها صَومعةُ الراهب بحيرا الذي كان إليه عِلمُ النصرانيّة، يقول فيه أبو طالب : (من الكامل)

حَتّى إذا ما القومُ بُصرَى عايَنُوا   لاقَوا على شَرَفٍ مِنَ المِرصادِ (٢)

حَبراً فأخبرَهُمْ حَديثاً صادقاً   عنهُ، وردّ مَعاشِرَ الحُسّادِ

قومٌ يَهودٌ قد رَأَوا ما قد رأوا   ظِلَّ الغَمامةِ ثاغِري الأكبادِ

---

(١) يختاره : يصطفيه للنبوة حتى يبلُغ سِنّها . طغام : سِفلةُ الناس ، للواحد والجمع .
غاية المطالب ، ص١٥٩-١٦١ .
وينظر: ديوان أبي طالب ، ص٥٧-٥٨ ، ٣٠٣ .

(٢) الشرف : المكان العالي . المرصاد : الطريق .

ثاروا لِقَتلِ مُحمَّدٍ فَنَهاهُمُ عنهُ ، وجاهَدَ أحسنَ التَّجهادِ [1]

وقال أيضاً في مُعجزة الغمامة وتَنبُّؤ بحيرا [2] : (من الطويل)

فما رَجَعوا حتّى رأوا مِن مُحمَّدٍ أحاديثَ تَجلُو هَمَّ كُلِّ فُؤادِ

وحتّى رأوا أحبارَ كُلِّ مَدينةٍ سُجُوداً لَهُ مِن عُصبَةٍ وفُرادِ

فقالَ لَهُمْ قَولاً بَحيراً وأيقَنُوا لَهُ بَعدَ تَكذيبٍ وطُولِ بِعادِ

كما قالَ لِلرَّهطِ الَّذينَ تَهوَّدوا وجاهَدَهُمْ في اللهِ كُلَّ جِهادِ

فإنّي أخافُ الحاسِدينَ وإنَّهُ لَفي الكُتْبِ مَكتوبٌ بِكُلِّ مِدادِ [3]

وخاطب أبو طالبٍ بني قُصيّ الذين كذّبوا نبوّةَ محمّد 6 ، مع أنّه كان أصدَقَهم حديثاً ولم يكن سَبَبُه إلى مَطلبه رثيثاً ؛ مُذكِّراً بِحَسَبِ العرب وتَواصُلِه بالإسلام الحنيف : (من المتقارب)

وإنْ كانَ أحمَدُ قد جاءَهُمْ بِحَقٍّ ولَمْ يأتِهِمْ بِالكَذِبْ

فيالَ قُصَيٍّ ألَمْ تُخبَرُوا بِما حَلَّ مِن شُؤونِ العَرَبْ

يريد: الخطوب والكروب الحالَّة بهم لتكذيب أنبيائهم ، أو المصائب النازلة بهم بسبب عَداء بعضهم بعضاً، ثمَّ يعجب من مُعاداتهم مع قولهم إنهم جِيرةٌ وإخوة ، لأن مُقتضى ذلك؛ المُصافاةُ لا المُعاداة :

زَعَمتُمْ بِأنَّكُمْ جِيرَةٌ وأنَّكُمُ إخوَةٌ في النَّسَبْ

كيفَ تُعادُونَ أبناءَهُ وأهلَ الدِّيانةِ بَيتَ الحَسَبْ

---

[1] غاية المطالب ، ص٥٨-٦٠ .

وينظر: ديوان أبي طالب ، ص٥٦ .

[2] تُراجعُ القصة في الخصائص الكبرى للسيوطي .

[3] غاية المطالب ، ص٦٣ .

وينظر: ديوان أبي طالب ، ص٥٩-٦٠ .

ـــا ومَن حَجَّ مِن راكبٍ   وكعبةِ مكّةَ ذاتِ الحُجُبْ (١)

... إلخ

إذ كانت العرب في الجاهلية لا تبني بيتاً مُربَّعاً تعظيماً للكعبة ، وكانت تَحلِفُ بها .

وقال أبو طالب؛ يُنذِرُ قومَه ؛ لأنّ محمّداً 6 نبيٌّ كموسى υ وغيرِه من أنبياء الله تعالى، لذا يؤدِّي عدم الإيمان به وبدعوته إلى هلاكهم كما حَلّ بالقبائل العربيَّة البائدة : (من الطويل)

ألَمْ تَعلَمُوا أنّا وجَدْنا مُحمّداً   نَبيّاً كمُوسى خُطَّ في أوّلِ الكُتْبِ (٢)

وأنّ عليهِ في العِبادِ مَحبّةً   ولا خَيرَ مِمّنْ خَصّهُ اللهُ بالحُبِّ (٣)

وأنّ الذي ألصَقتُمُ مِن كِتابِكُمْ   لَكُمْ كائنٌ نَحْساً كراغِيَةِ السّقْبِ (٤)

فَلَسنا ورَبِّ البَيتِ نُسلِمُ أحمداً   لِعَزّاءَ مِن عَضِّ الزّمانِ ولا كَرْبِ (٥)

وكتبَ أبو طالبٍ إلى النّجاشيّ ، (٦) عندما ذهب إليه وَفْدُ قريش لردِّ المسلمين ، يقول له: إنّ محمداً نبيٌّ كموسى والمسيح 8، وإنّ عليه أن يَنصُرَهُ ويُؤمِنَ برسالته لأنّ الله تعالى أمر بذلك كما جاء في التّوراة والإنجيل ، وأن يتخلّى عن الشّرك بالله الواحد الهادي : (من الطويل)

أَتعلَمُ مَلْكَ الحُبْشِ أنّ مُحمّداً   نَبيٌّ كمُوسَى والمَسيحِ بنِ مَريَمِ

أَتى بِهُدًى مِثلِ الذي أَتَيا بِهِ   وكُلٌّ بِأمرِ اللهِ يَهدي ويَعصِمُ (٧)

---

(١) الحجب : كِسوَة الكعبة المحيطة بها.
غاية المطالب ، ص٣٥-٣٨ . وديوان أبي طالب ، ص٧٦ و ١١٨ و ٢٥٣ .

(٢) الكتب ؛ كتب الأنبياء السالفة .

(٣) خير : أخيَر .

(٤) إن ولد ناقة صالح υ رَغا ثلاثَ رغَوات في ثمود بعد عَقرِ أُمّه فهلكوا ، فضربتْ العربُ مثلاً للشؤم .

(٥) العزاء : الشدّة . عض الزمان : اشتداده . الكرب : المشقّة .
غاية المطالب ، ص٢٠-٢١ . وديوان أبي طالب ، ص١٠٧-١٠٨.

(٦) هو ملك الحبشة ؛ أَصحَمة بن بَحر .

(٧) في القافية إقواء ، وهو اختلاف حركة الرّويّ بالضمّ وانكسارها في القوافي الأُخر.

وإنكمُ تتلونَهُ في كتابِكمْ   بصِدقِ حَديثٍ لا بصِدقِ التّرجمِ [١]

فَلا تجعلوا للهِ نِدًّا وأسلِمُوا   فإنّ طريقَ الحقِّ ليسَ بِمُظلِمِ [٢]

قال الله تعالى: **(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)** [٣] .

وبعدما سمع النجاشيّ هذه الأبيات أَمَرَ بردِّ هدايا مُشركي مكةَ على رسولَيهم ، قائلاً : والله ما أخذَ اللهُ منّي الرّشوةَ حين ردّ عليّ مُلكي حتى آخذَ الرّشوة فيه ، وما أطاع الناسَ فيّ حتى أُطيعَهم فيه .

ثُمّ يُؤكّد أبو طالب مَنعَه لمحمدٍ 6 ، لأنه رسولُ المليك ، الذي يستحقُّ كلّ تضحية : (من المتقارب)

مَنعنَا الرّسولَ رَسولَ المليكِ   بِبِيضٍ تَلألأُ لَمْحَ البُروقِ

أَذُبُّ وأَحمي رسولَ المليكِ   حِمايةَ حانٍ عليهِ شَفيقِ [٤]

الأديانُ السماوية :

للأديان السّماوية ذكرٌ مُتداولٌ في المجتمع العربي، فهذا الأعشى يذكرُ [٥] أشهر ما لليهود في الجزيرة ، وهو حِصنُ تَيماءَ زاعماً أنّ النبيّ سليمانَ بن داوُد 8 ، هو الذي بناه ، فكان متيناً شامخاً ، ومع ذلك لم يمنع موتَ أصحابه : (من الطويل)

ولا عادِيَا لَمْ يَمنَعِ المَوتَ مالُهُ   وحِصْنٌ بِتَيماءِ اليَهوديِّ أَبلَقُ [٦]

بَناهُ سُلَيمانُ بنُ داوُدَ حِقبَةً   لَهُ أَزَجٌ عالٍ وطَيٌّ مُوَثّقُ [٧]

يُوازي كُبَيداءَ السّماءِ ودُونَهُ   بَلاطٌ ودَاراتٌ وكِلْسٌ وخَندَقُ [١]

---

[١] التّرجم : الظّنّ .

[٢] غاية المطالب ، ص١٦٣-١٦٤.
وينظر: ديوان أبي طالب ، ص١٥٩.

[٣] سورة الأعراف ، ١٥٧/٧ .

[٤] غاية المطالب ، ص٩٨-٩٩ .
وينظر: ديوان أبي طالب ، ص٦٦-٦٧ .

[٥] الأبيات في مدح المُحلّق بن حَنتم بن شدّاد بن ربيعة .

[٦] عاديا : عادياء بن السموأل اليهودي .

[٧] الأزج: ضَربٌ من الأبنية يُبنى طولاً ، وأزّج البناء : علّاه . طوى البئر يطويها طيًا : بنى جوانبها بالحجارة والآجُرّ .

فَذاكَ وَلَمْ يُعجِزْ مِنَ المَوتِ رَبَّهُ   وَلكِنْ أَتاهُ المَوتُ لا يَتَأَبَّقُ (٢)

ويمدحُ الأعشى حفيداً للسموأل ، (٣) فيُذكِّرُه بوفاءِ جدِّه وتَضحيتهِ مُعتمداً على الله تعالى : (من البسيط)

فَشَكَّ غَيرَ قَليلٍ ثُمَّ قالَ لَهُ   إِذبَحْ هَدِيَّكَ إِنّي مانِعٌ جاري (٤)

وَسَوفَ يُعقِبُنيهِ إِنْ ظَفِرتَ بِهِ   رَبٌّ كَريمٌ وَبيضٌ ذاتُ أَطهارِ (٥)

أي أنَّ زوجاته يمكن أن يَلِدْنَ له غيرَه إن مات .

وكانتْ للنصرانيّة ثلاثةُ مراكزَ في الجزيرة : آلُ المُنذر في الحِيرة، وآلُ غَسّان في الشّام، وبَنو الحارث بن كعب في نَجران . (٦) يذكرُ الأعشى المركزَ الأخير مادحا (٧):(من المتقارب)

وَكَعبَةُ نَجرانَ حَتمٌ عَلَيـ   ـكِ حَتّى تُناخي بِأَبوابِها (٨)

نَزورُ يَزيدَ وَعَبدَ المَسيحْ   وَقَيساً هُمُ خَيرُ أَربابِها (٩)

ويعودُ أُميّةُ لتَمجيدِ الله تعالى شأنه ؛ إذ ينزهه ويكبِّره جميعُ أهل السماء ، بخلاف أهل الأرض ، فإنَّ فيهم نُفاةَ الصانع والمُشبِّهة ومن يَعبد الأصنام : (من الخفيف)

مَجِّدُوا اللهَ وَهْوَ لِلمَجدِ أَهلٌ   رَبُّنا في السَماءِ أَمسى كَبيرَا (١٠)

ذلِكَ المُنشِئُ الحِجارَةَ وَالمَوْ   تَى وَأَحياهُمْ وَكانَ جَديرَا

---

(١) البلاط : الأرض المستوية الملساء . الدارة : ما أحاط بالشيء .

(٢) يتأبق: يختفي ويتستَّر .
ديوان الأعشى ، ص٢٦٧.

(٣) هو: شُرَيح بن حصن بن عمران بن السموأل .

(٤) الهدي : الأسير .

(٥) الأطهار : أيام طُهر المرأة من الحَيض .
ديوان الأعشى، ص ٢٣١ .

(٦) ينظر: مسالك الأبصار ، ابن فضل الله العمري ، ص٣٥٩ .

(٧) رهط عبد المَدان بن الدَّيّان ؛ سادة نجران من بني الحارث بن كعب .

(٨) يقول: ليس لكِ يا ناقتي دون بِيعةِ نجران من مَرام حتى تناخى بأبوابها .

(٩) ديوان الأعشى ، ص٢٢٣ .

(١٠) ينظر: اختلاف اللفظ، ص٣٨.

بالبِناءِ الأعلَى الذي سَبقَ النّا   سَ وسَوّى فَوقَ السَّماءِ سَريرَا [(١)]
شَرجَعًا لا يَنالُهُ بَصَرُ العَيـ   ـنِ تَرَى دُونَهُ المَلائكَ صُورَا [(٢)]

وهكذا أبدى الشاعرُ تَوحيدَ الله سبحانه بأسمائه الحُسنى وصِفاته العُليا..

وربّما تأثّر عربُ الجاهلية بالمَجوسيّة في نار الاستِمطار ، إذا اشتدّ الجَدْبُ واحتاجُوا الأمطار[(٣)] .. يقول أُمية : (من الخفيف)

فَرآهَا الإلهُ تُرشَمُ بِالقِطْـ   ـرِ وأَمسَى جَنابُهُمْ مَمْطُورَا [(٤)]
فَسَقاهَا نَشاصُهُ واكِفُ الغَيْـ   ـثِ مِنهُ إذْ رادَعُوهُ الكُبيرَا [(٥)]
سَلَعٌ مَا ومِثْلُهُ عُشَرٌ مَا   عائلٌ مَا وعالَتِ البَيقُورَا [(٦)]

القبائلُ البائدة :

وبقيت القبائلُ العربيةُ البائدة ، مَضرِبًا للمَثل عند الشّعراء خصوصًا للعِظَة والاعتبار في مُختلِف الأغراض ، يقول الأعشى ناصحًا : (من الكامل)

ويَقولُ مَن يَبقِيهِمُ بِنَصيحةٍ   هَلْ غَيرُ فِعلِ قَبيلةٍ مِن عادِ [(٧)]

[(١)] السرير : العرش .

[(٢)] الشرجع : العالي المُنيف . صور : جمع أصور : المائل العنق لثقل حمله، أو لنظره إلى الأعلى .
ديوان أُمية ، ص ٧٠-٧١ .

[(٣)] جَمعوا ما قَدِروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السَّلَعَ والعُشَرَ ، ثم صعدوا بها في جبلٍ وَعْر ، وأشعلوا فيها النِّيران ، وضجّوا بالدّعاء والتّضرّع ، فكانوا يرون ذلك من أسباب السّقيا .
ينظر: الحيوان ، ٤٦٦/٤ .

[(٤)] ترشم: من الرَّشَم : العلامة ؛ بدا نبتُها .

[(٥)] النشاص : السحاب المرتفع . واكف : سائلٌ منه المطر ، أو يهطل منه ؛ من النشاص .

[(٦)] السلع والعشر : ضربان من الشجر . ما: صِلة ، وهي لغة ثقفية ، وتكلّم بها غيرهم . عائل : مُثقل . عالت البيقورا : أثقلت هذه السنةُ البقرَ بالهُزال جرّاء حِملها لهذا الشّجر .
ينظر: جمهرة اللغة ، ٢٧٠/١ . ديوان أمية ، ص٧٥ .

[(٧)] بقاه : رصده ، أو نظر إليه . عاد ؛ يَضرب العربُ بهم المَثل في الجَبروت .
ديوان الأعشى ، ص ١٨٣ .

ثُمَّ يقول : (من مجزوء البسيط)

أَلَمْ تَرَوا إرَماً وعاداً … أَوْدَى بِها اللَّيْلُ والنَّهارُ (١)

بادُوا فلمَّا أَنْ تآدَوا … قَفَّى على إثْرِهِمْ قُدارُ (٢)

وَقَبْلَهُمْ غالَتِ المَنايَا … طَسْماً وَلَمْ يُنْجِهَا الحِذارُ (٣)

وحَلَّ بالحَيِّ مِنْ جَدِيسٍ … يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطارُ (٤)

وأَهْلَ جَوٍّ أَتَتْ عَلَيهِمْ … فأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا (٥)

كحِلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِياحٍ … يَسْمَعُهَا لاهُهُ الكُبَارُ (٦)

أبو رياح رجل من بني ضُبيعة ، قتل جاراً لبني سعد بن ثعلبة ، فسألوه أن يَدِيَهُ فَحلفَ أَلاَّ يفعل ، ثم قُتل ، فبرَّتْ يَمينُه يقول قد برَّت يمينكم حين أقسمتم كما برَّت يمين أبي رياح :

وإنَّ لُقَيماً وإنَّ قَيلاً … وإنَّ لُقمانَ حيثُ سارُوا

لَمْ يَدَعُوا بَعدَهُمْ عَرِيباً … غَنِيَتْ بَعدَهُمْ نِزارُ (٧)

لقيم وقيل ولقمان : هؤلاء وفد عادٍ الذي جاء مكة يستسقي ، بعد ان حبس اللهُ تعالى المطر عن قومهم ثلاث سنوات ، فمرّت بهم سحائب ، ونودي منها : اختاروا ، فاختاروا السوداء ، ظنّاً منهم أنها أغزرها ماءً ، فكان فيها فناؤهم فلم يبقَ منهم - بعدُ - متكلمٌ بالعربية ؛ هلكوا جميعاً (١) .

---

(١) إرم : ابن سام بن نوح . عاد : ابن عَوص بن إرم . أودى بهم : أفناهم .

(٢) تآدوا : تفاعلوا، من الأيد : القُوّة . قدار : أحمر ثمود الذي يُضرب به المثل في الشؤم ، لأنه قتل ناقةَ صالح عليه السلام ؛ فأنزل الله على قومه العذاب بسببه .

(٣) طسم وجديس وعاد وثمود : كلّ هؤلاء أبناء عُمومة ، وهم من نَسل إرم بن سام .

(٤) مستطار : شديد .

(٥) جوّ : مدينة قديمة ، سُمّيت بعد ذلك باليَمامة ، نسبةً إلى امرأة من جديس هي الزّرقاء المشهورة بِحدّة البصر ، حين قلع تُبّعٌ عينَيها وصلبها على باب جوّ .

(٦) لاهه : إلهه ، ويُستشهَد بهذا البيت على أنّ لفظ الجلالة أصله لاه ثم عُرّف بالألف واللام . الكبار : العظيم .

(٧) غنيت : أقامت. نزار : جدّ عرب الشّمال (رَبيعة ومُضَر).

ديوان الأعشى ، ص ٣٣١-٣٣٣ .

ويُحذِّرُ أبو طالبٍ قومَهُ ، ما حلَّ بالأمم قبلهم ؛ إذا تمادَوا في الغَيّ : (من المتقارب)

أَفيقُوا بَني غالبٍ وانْتَهُوا   عَنِ البَغيِ في بَعضِ ذَا المَنطِقِ

وإِلا فإنِّي – إذَنْ - خائفٌ   بَوائقَ في دارِكُمْ تَلتقي

تكونُ لِغَيرِكُمُ عِبرةً   وربِّ المَغاربِ والمَشرِقِ

كما نالَ مَن كانَ مِن قَبلِكُمْ   ثَمُودَ وعاداً فَمَنْ ذَا بَقِي

فَحلَّ علَيهِمْ بِها سَخطةٌ   مِنَ اللهِ في ضَربةِ الأزرَقِ (٢)

ويُعدِّدُ أميةُ أنواعَ العذاب الذي أرسله اللهُ تعالى على فِرعون ومَواليهِ وأتباعِهِ ، وقد سلبهم الله حُسنَ الذِّكر في حياتهم الدنيا لمّا كذّبوا نَبيَّ الله (٣) : (من الخفيف)

نُزِعَ الذِّكرَ في الحياةِ وعَنّا   وأَراهُ العذابَ والتَّدميرَا

أَرسلَ الذرَّ والجَرادَ عليهِمْ   وسِنيناً فأَهْلَكَتْهُمْ ومُورَا (٤)

ذَكَرُ الذرِّ إنَّهُ يفعلُ الشرْ   رَ وإنَّ الجرادَ كان ثُبورَا (٥)

وهكذا تسودُ سُنَّةُ رَبِّ العالمين في الأرض ، إذ كان جزاءُ الظالمين عذاباً وَشيكاً مُباغِتاً .

وكما تذهبُ الأممُ ، تذهب الدُّول كذلك .. يتأسَّى الأعشى بقصّة الحَضَر ويَذكرُ سَدَّ مأرِب : (من المتقارب)

فَفي ذاكَ لِلمُؤْتَسي أُسوةٌ   ومَأْرِبُ قَفّى عليها العَرِمْ (١)

---

(١) تنظر التفاصيل في : التيجان في ملوك حِميَر ، عبد الملك بن هشام ، ص٦٩-٧٨ .

(٢) الأزرق : قُدار أزرق ثمود .

غاية المطالب ، ص٩٤-٩٧ .

وينظر: ديوان أبي طالب ، ص١٥٥-١٥٦ .

(٣) ينظر : الحيوان ، ٤/١٤و٦/١٥٠ .

(٤) الذر : النمل . السنين : جمع سنة : القَحط والأزمة . المور : المَوج .

(٥) ذكر الذر : كبار النمل . الثبور : الهلاك .

ديوان أمية ، ص ٧٢ .

رُخامٌ بَنَتْهُ لهم حِمْيَرٌ   إذا جاءَهُ ماؤهُمْ لَمْ يَرِمْ (٢)

فأروى الزروعَ وأعنابَها   على سَعَةٍ ماؤهُمْ إذْ قُسِمْ

فَعاشُوا بذلكَ في غِبْطَةٍ   فَجارَ بِهِمْ جارِفٌ مُنهَزِمْ (٣)

فَطارَ القُبولُ وقَيلاتُها   بِيَهماءَ فيها سَرابٌ يَطِمّْ (٤)

وفي تاريخ العرب مُتّسعٌ لثقافة الشاعر يجول فيه ويجلّي عن وقائع وأحداثٍ جسام ، وقعت في أنحاء الجزيرة خلال حقبٍ مختلفة . يستذكرها الشاعر ليذكّر بها ويَعظ فيعتبر بها من يعتبر ويسترشد من يسترشد ، فهي دلالات ومنارات ، لأولى البَصائر والألباب .. يذكر أميةُ قصةَ الفيل التي وقعت عام مولد الرَّسول الأكرم 6 ، ويذكّر بالحَنيفيّة دين الخليل υ وينبّهُ قبل هذا وذاك بآيات الله الباهرات[5] : (من الخفيف)

إنّ آياتِ رَبّنا بَيّناتٌ   ما يُماري فِيهِنّ إلا الكفُورُ (٦)

خَلَقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ   مُستَبينٌ حِسابُهُ مَقدُورُ

ثُمّ يَجلُو الظلامَ رَبٌّ كريمٌ   بِمَهاةٍ شُعاعُها مَنثورُ (٧)

حَبَسَ الفيلَ بِالمُغمّسِ حتّى   ظَلّ يَحبُو كأنّهُ مَعقُورُ (٨)

خَلّفُوهُ ثُمّ ابْذَعَرّوا جميعاً   كلهُمْ عَظْمُ ساقِهِ مكسُورُ (٩)

---

[1] قفّى عليها العرم : عفى على مأرب السيلُ .

[2] لم يرم : لم يذهب ولم يبرَح .

[3] جار ؛ من الجَور : المَيل والانحراف عن القصد . منهزم : له صوت .

[4] يهماء: صحراء مطموسة المسالك .

ديوان الأعشى ، ص ٩٣ .

[5] تُنسَبُ القطعةُ إلى أبيه أبي الصَّلت أيضاً .

[6] يماري : يُجادل ، ينازع .

[7] المهاة : الشمس ، سُمّيت بذلك لصفائها .

[8] المغمس : موضع بين مكة والطائف ، (ينظر : معجم البلدان). معقور : مجروح .

[9] خلفوه ؛ جيش أبرهة . ابذعروا تفرّقوا .

ـلُّ دِينٍ يَومَ القيامةِ عندَ اللّـ   ـهِ إلا دِينَ الحَنيفيَّةِ بُورُ (١)

معركةُ ذي قار :

وقامت بين العرب والفرس واقعةُ ذي قار (٢) ، وربما كانت حنيفيةُ العرب ومجوسيةُ الفُرس ، المُحرِّكَ الخفيّ للنِّزاع بين الطَّرفين .. لقد كان كسرى الفرس مُعتدياً ، وكان الحقُّ مع البكريِّين ، فجَّهز كسرى جنودَه و أذنابَه ، وانضمَّ للبكريين أشقاؤهم ..فارتسمتْ صورةٌ رائعة لوحدة العرب ، ونصرة الحقِّ ...

ابتداءً طلبَ كسرى من بكرٍ أن يُسلِّموا حَلَقةَ النُّعمان ، ويقدِّموا مئةَ غلامٍ رهناً .فأغار الحارثُ بنُ وَعلةَ على بعض السَّواد ، وانبرى الأعشى يتهدَّد ملكَ الفرس بالنِّزال ؛ إن لم يُعيدوا أخا الحَوَزان الذي كان في يَد كسرى في رَهن قَيس بن مسعود : (من الكامل)

كلا يَمينَ اللهِ حتّى تُنزِلوا   مِن رأْسِ شاهقةٍ إلينَا الأسوَدَا (٣)

لَنُقاتِلَنَّكُمْ على ما خَيَّلتْ   ولَنَجعَلَنَّ لِمَنْ بَغَى وتَمَرَّدا (٤)

ما بَينَ عانَةَ والفُراتِ كأنَّما   حَشَّ الغُواةُ بِها حَريقاً مُوقَدَا (٥)

جَعَلَ الإلهُ طعامَنَا في مالِنَا   رِزقاً تَضَمَّنَهُ لنا لن يَنفَدَا (٦)

وفي خِضمِّ المعركة الكبرى ، يبرز بنو شَيبانَ بن ثعلبة في أهوالها أبطالاً في مقدِّمة صانعي النَّصر الكبير ، فيمدحُهُمُ الأعشى بأنهم كانوا شديدين على الفرس الذين يسعون للحرب ويُهيِّجونها ، بل أشدّ في القتال من كتائبهم : (من الطويل)

فَلِلّهِ عَينَا مَن رأى مِن عِصابةٍ   أَشدَّ على أَيدي السُّعاةِ مِنَ الّتي (١)

---

(١) بور: فاسد، هالك .
ديوان أُمية ، ص١٦٤-١٦٦ .

(٢) ينظر مثلاً : تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ، ١٩٣/٢ .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، ٢٧٨/١ .
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، حمزة الأصفهاني ، ص٧٤ .

(٣) الشاهقة : أرفع موضع في الجبل .

(٤) ما خيلت : ما أرتْك نفسُك وشبهتْ لك وأوهمتك .

(٥) حش النار : أطعمها الحطبَ ، كما تَحُشُّ الدّابةَ وتُطعمها . الغواة : جمع غاو: ضال، مُنهمك في الجَهل والسَّفه .

(٦) المال : الإبل .
ديوان الأعشى ، ص٢٨١.

أَتَتهُمْ مِنَ البَطحاءِ يَبْرُقُ بَيضُهَا   وقد رُفِعَتْ راياتُهَا فاسْتَقَلَّتِ (٢)

والشاعرُ الجاهلي خبيرٌ بتاريخ بلاده و أخبار أهلها ، فهو يضرب الأمثالَ ويُسدي النصائح ، وفي هذه القضيّة ، يستشهد الأعشى بقصة طسْمٍ وجديس وزرقاء اليمامة، ثم يُشيدُ بعملٍ مجيد لهوذةَ بن عليّ الحنفيّ ؛ يستحقُّ المديح : (من البسيط)

تقولُ بِنتي وقد قَرَّبتُ مُرتَحَلاً   يارَبِّ جَنِّبْ أبي الأوصابَ والوَجَعَا (٣)

عليكِ مِثلُ الذي صَلَّيتِ فاغتَمِضي   يَوماً فإنَّ لِجَنبِ المَرْءِ مُضطَجَعَا (٤)

كُوني كَمِثلِ التي إذْ غابَ وافِدُهَا   أَهدتْ لهُ مِن بَعيدٍ نَظرةً جَزَعَا (٥)

سائِلْ تَميماً بهِ أيّامَ صَفقَتِهِمْ   لَمّا رآهُمْ أُسارَى كُلُّهُمْ ضَرَعَا (٦)

بِهِمْ تَقَرَّبَ يَومَ الفِصحِ ضاحِيةً   يَرجو الإلهَ بِمَا سَدّى وما صَنَعَا (٧)

وما أرادَ بها نُعمَى يُثابُ بها   إنْ قال كِلْمَةَ مَعروفٍ بها نَفَعَا (٨)

وخرج العربُ من معركة ذي قار بانتصار ساحق ، لكن خرج منهم أو من بني شيبان -الذين أبلوا البلاء الحسن فيها - مَن وَفَدَ على كسرى ! فتصدّى له الأعشى البكريّ : (من الطويل)

كأنَّكَ لَمْ تَشهَدْ قَرابينَ جَمَّةً   تَعيثُ ضِباعٌ فِيهِمُ وعَواسِلُ (١)

---

(١) العصابة : بنو ذُهل بن شيبان . من التي : تضمين، وهو قبيح ؛ لأنه يفصل بين الصِّلة والموصول وهما كالشيء الواحد .

(٢) أتتهم : صلة الموصول في البيت السابق. البيض : جمع بَيضة : غطاء للرأس يلبسه المقاتل ليقيه . استقلت : علت وارتفعت .

ديوان الأعشى ، ص٣٠٩ .

(٣) الوَصَب : نُحول الجسم من تعب أو مرض .

(٤) الصلاة : الدعاء .

(٥) الوافد : الرسول ، يقصد : أخت رياح بن مُرّة الطسمي (زرقاء اليمامة) ، وافدها : أخوها .

(٦) الصفقة : من أيام العرب بين كسرى وتَميم . ضرع : ذَلّ .

(٧) الفصح : عيد تذكار قيامة السيد المسيح من الموت ، وهو أكبر أعياد النَّصارى ، وكان هوذة مسيحيا . سدّى : أسدى: قدّم .

(٨) ديوان الأعشى ، ص١٥١-١٦١ .

ظهورُ الإسلام :

كانت الرِّسالةُ الإسلاميةُ والإيمانُ بالرَّسول الخاتَم 6 أكبرَ قضيّة تاريخية شَهِدَتْها جزيرةُ العرب.. وقد عزمَ أميّةُ على الإسلام ، لكنَّ جماعةً من المشركين أثنَوه عن بُغيته بدغدغة المشاعر الجاهليّة وروح العصبية ، بعد مقتل عدد من صناديدهم من ذوي رحمه في معركة بدرٍ الكبرى ، فارتدَّ مجيباً داعيَ الشّيطان متأثراً بصيحاتٍ خائبةٍ لمجتمعٍ ضال، فكان أنْ رثى قتلى قريش : (من مجزوء الكامل)

لِلّهِ درُّ بَني عَلِيْ   يٍ أَيِّمٍ مِنهُمْ وناكِحْ [٢]

لكنَّ صلةَ الرَّحم موضوعٌ مهمٌّ لتقوية العلائق العربية وتوطيد أركان الوئام والسلام في المجتمع.. طالما أكد عليه الإسلام ودعى إليه بإلحاح وحثَّ عليه بقوّة . قال الأعشى معاتباً حيّاً يتّصل بنَسَبِهِ ، كان تخاصمَ مع حيِّه الأقربين ،قاصداً رأبَ الصّدع بين الحيَّين : (من الخفيف)

لَمْ نَطَأْكُمْ يَوماً بِظُلْمٍ وَلَمْ نَهْـ   ـتِكْ حِجاباً وَلَمْ نُحِلَّ حَرَامَا [٣]

وكان الجِوارُ عند الجاهليِّين أوسعَ من قرابة النَّسبِ واقعاً ؛ فهو من القِيَمِ التي يحرصون عليها أشدَّ الحرص. فإذا ما أعطى رجلٌ عهداً لِلاجيء إليه صار به جارَه ، بل جاراً لمن ينتسبُ إليه المُجير على مستوى القبيلة كلّها ، واحترم الناسُ بعد ذلك هذا الجوار فلا يُمسُّ المُجارُ بِسُوء .. في قبيلة بكر كان قومُ الأعشى وأبناءُ عُمومتهم قد أجاروا رَهطاً ، فانتهك بنو حَنيفة جِوارَهم زاعمين أنَّ جوار قيسٍ وذُهل لا يُلزمهم : (من الكامل)

كَذَبوا وَبَيتِ اللهِ يُفعَلُ ذلِكُمْ   حَتّى يُوازِي حَزْرَماً كِنديرُ [٤]

وبذلك يَحسِمُ الشاعرُ الأمرَ ويُقسم ببيت الله المُعظّم على أنَّه من المُحال أنْ يَتنصَّلَ أحدُهم من هذا الجِوار.

وقد كثُر عندهم مِثلُ هذا القَسَم لمَكانة البيت والكعبة المُشرَّفة في نفوسهم ..ثم كان الشعراء يفصِّلون الحديث عن مناسك حج البيت وتاريخه في شتى المناسبات..يقول الأعشى[١] : (من الطويل)

---

[١] القرابين : جمع قُربان : ما يتقرَّب به إلى الله تعالى ، يقصد : القتلى في الحروب . عاث الشيءَ وعاث في الشيء: أفسده . عواسل : جمع عاسل : الذئب .
ديوان الأعشى ، ص٢٣٣ .

[٢] الأيّم من الرجال : من لا امرأة له . الناكح : المتزوج .
ديوان أمية ، ص ٣٦ .

[٣] ديوان الأعشى ، ص ٢٩٧ .

[٤] حزرم : جبل . الكندير : الغليظ المرتفع من الأرض .
ديوان الأعشى ، ص ٣٥٥ .

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرّاقِصاتِ إلى مِنىً   إذا مَخْرَمٌ جاوَزْنَهُ بَعْدَ مَخْرَمِ [2]

فَما أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الحَجُونِ ولا الصَّفا   ولا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ ماءِ زَمْزَمِ [3]

وما جَعَلَ الرَّحمنُ بَيْتَكَ في العُلى   بِأَجيادِ غَرْبِيَّ الصَّفا والمُحَرَّمِ [4]

فَلا تُوعِدَنّي بِالفَخارِ فَإِنَّني   بَنى اللهُ بَيْتي في الدَّخيصِ العَرَمْرَمِ [5]

عند بِناءِ البَيت ونَقل الحَجَر الأسود .. قال أبو طالبٍ مُفتخراً بِانْتِسابِهم إلى البيتِ الحرامِ وعمارَتِهم إيَّاه : (من الرجز)

لَنا أوَّلُهُ وآخِرُهْ
ي الحُكمِ والعَدلِ الذي لا نُنكِرُهْ
د جَهَدْنا جَهْدَنا لِنَعمُرَهْ [6]
قد عَمَرنَا خَيرَهُ وأَكثَرَهْ
فإن يكن حقًّا ففِينا أوفرَه [7]

---

[1] في هجاءُ عُمير بن عبد الله بن المُنذر بن عَبدان .

[2] المخرم : مُنقطَع أنف الجبل .

[3] الحجون : جبل بمعلاة مكة على فرسخ وثلث منها وفيه مقابرهم . الصفا : جبل بمكة من مشاعر الحجّ .

[4] أجياد : موضع بمكة . المحرم : حرم مكة .

[5] الدخيص : الأصل . العرمرم : العدد الكبير .
ديوان الأعشى ، ص١٧٣ .

[6] جَهَدَ يَجهَدُ في الأمر : تَعِبَ وجَدَّ فيه . الجَهد : الطاقة والغاية .

[7] غاية المطالب ، ص٨٣-٨٤ . وينظر : ديوان أبي طالب ، ص٢٨٠ .

وفي قصيدةٍ طويلة قالها في الشِّعب الذي أَوى إليه بنو هاشم مع رسول الله 6 لمّا تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصَّحيفة ، يُفصِّل أبو طالب نُسُكَ العباد وشعائرَ الحَجِّ وخُلُقَ الرَّسول العظيم 6 ، ودفاعَهُم عنه وعن دينِهِ القَويم: (من الطويل)

وأَحضَرتُ عِندَ البَيتِ رَهطِي وإخوَتِي   وأَمسَكتُ مِن أَثوابِهِ بِالوَصائلِ [1]

قِياماً معاً مُستَقبِلِينَ رِتاجَهُ   لَدَى حَيثُ يَقضِي نُسْكَهُ كلُّ نافِلِ [2]

يريد : ماكانوا يُوفون من عهودهم ونذورهم وأيمانهم ، وما يتصدَّقون للبيت وعنده ، ويعدون ذلك قُربة وكرماً ويشيرُ إلى الحُجاج ، لأنهم لا يحلقون إذ هم مُحرمون وإلى صَنَمَي قُرَيشْ وكانا على صورتَي إنسانين، وتزعم العرب أن إسافاً كان رجلاً ونائلة كانت امرأة ، زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى ، فأخرجوهما عند زمزم ليعتبر بهما الناس ، فلما طال مُكثهما وعُبدت الأصنام؛ عَبدوهما[3]:

ثُ يُنِيخُ الأَشعَرُونَ رِكابَهُمْ   ضَى السُّيولِ مِن إِسافٍ ونائلِ [4]

وذُ بِرَبِّ النّاسِ مِن كُلِّ طاعِنٍ   نَا بِسُوءٍ أو مُلِحٍّ بِباطِلِ

وهذا تصريحٌ بأنه كان يؤمن بالله تعالى كما كان عليه أكثر العرب في الجاهلية :

ن كاشِحٍ يَسعَى لنا بِمَعِيبَةٍ   ن مُلحِقٍ في الدِّينِ ما لَمْ نُحاوِلِ [5]

تِ رُكنِ البيتِ مِن بَطنِ مَكَّةٍ   الله إنَّ اللهَ لَيسَ بِغافِلِ

الحَجَرِ المُسْوَدِّ إذ يَمسَحُونَهُ   ا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى والأَصائلِ [6]

وطِئِ إبرهيمَ في الصَّخرِ رَطْبَةً   ى قَدَمَيهِ حافِياً غَيرَ ناعِلِ [1]

---

[1] أثوابه : كسوته . الوصائل : أثواب يَمانيّة حُمر فيها خطوط خضر ، واحدتها وصيلة ، كانوا يتمسَّكون بها ويدعون عند النوائب .

[2] الرتاج : الباب العظيم . النافل : المتطوع أو الحالف .

[3] ينظر: الأصنام ، هشام بن الكلبي ، ص٩ و٢٩ .

[4] الأشعرون : الذين لم يحلقوا رؤوسهم ، واحده: أشعر . مفضى السيول: منتهاها . إساف : صنم لقريش كان على الصفا . نائلة : صنم لهم كان على المروة ، وترخيم نائلة؛ ضرورة شعرية .

[5] الكاشح : مُضمِرُ العداوة ، كأنه يطوي كشحه : باطنه ، على العداوة . الدين (هنا) : السيرة . نحاول : نريد .

[6] اكتنفوه : أحاطوا به .

موضع قدمه حين غسَّلت كنَّتُه رأسَه - وهو راكب - فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمالَ رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذتْ عليه عهداً حين استأذنها أن يُطالع ما تركه بمكة ، فحلفَ لها ألاَّ ينزلَ عن دابَّته ولا يزيدَ على السلام واستطلاع الحال ، غَيرةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة ألقى اللهُ تعالى فيها أثرَ قدمه الشريفة آيةً ، وقيل : بل هو أثرُ قدمه حين رفع القواعد من البيت :

ا حَجَّ بَيتَ اللهِ مِن كُلِّ راكبٍ   ن كلِّ ذي نَذرٍ ومِن كلِّ راجلِ

المَشعَرِ الأقصَى إذا عَمَدُوا لَهُ   ءِ إلى مُفضَى الشِّراجِ القَوابِلِ [2]

قافِهِمْ فَوقَ الجِبالِ عَشيَّةً   نيمُونَ بِالأَيدِي صُدُورَ الرَّواحِلِ [3]

يريد : أنهم يتهيأون للإفاضة من عرفات إلى المُزدلفة ، إذ ليس فوق حُرمة تلك المنازل حُرمةٌ ، ولا فوقها منازل في الاحترام :

ةِ جَمعٍ والمَنازِلِ مِن مِنًى   ا فَوقَهَا مِن حُرمةٍ ومَنازِلِ [4]

الجَمرةِ الكُبرَى إذا صَمَدُوا لها   ونَ قَذفاً رأْسَهَا بِالجنادِلِ [5]

وفي حديث ابن مسعود τ : أنه 6 انتهى إلى الجمرة الكبرى فـ(جعل البيت عن يساره ومِنى عن يمينه ورمَى الجَمرةَ بسبعِ حُصيَّاتٍ) [6]. فليس بعد ماعاذ به من معاذ ، أي: موضع يعوذ به العائذ ويلتجئ إليه .

فهلْ فَوقَ هذا مِنْ مُعاذٍ لِعائذٍ   لْ مِن مُعيذٍ يَتَّقي اللهَ عادلِ

ذَبتُمْ وبَيتِ اللهِ نَترُكَ مَكَّةً   ونَ إلا أمرُكُمْ في بَلابِلِ [7]

---

[1] رطبة : حال من الصخر ، رطوبتها : نعومتها ونقاؤها .

[2] المشعر : موضع مناسك الحجّ ، المشعر الأقصى : عرفة . إلال : الجبل الذي يقوم عليه الإمام ، وسمي إلالاً : لأن الحجاج إذا رأوه ألّوا في السَّير : اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . الشراج: ما يتعلق بعضه ببعض من الآكام . القوابل : المتقابلة .

[3] الرواحل : جمع راحِلة : القويّ من الجمال على الأسفار . ولم يُرد الصدور وحدها ، والعرب تذكر الجزء وتريد الكُلّ .

[4] ليلة جمع : المزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس بها .

[5] الجمرة : موضع رمي الجمار بمنى ، سمّيت بذلك لأنها تُرمى بالجمار وهي الحصى ، الجمرة الكبرى : جمرة العقبة . صمدوا : قصدوا . الجنادل : جمع جندل : الحجر ، يريد : حصى الجمار .

[6] حديث متفق عليه .

[7] كذبتم البلابل : الأحزان والغموم ، جمع بلبال أو بلبلة .

بَطِلَ أمَاكُم بلا نرحل على حالٍ إلا حالَ كون أمركم في البلابل، فلا نُغلب عليه 6 . أما إذا دام هذا العنادُ الذي أراه ، تَنَل سيوفُنا أشرافَكم :

ذَبتُمْ وبَيتِ اللهِ نُبزَى مُحمَّداً   ا نُطاعِنْ دُونَهُ ونُناصِلِ (١)

ي لَعَمرُ اللهِ إنْ جَدَّ ما أرى   تَبِسَنْ أَسيافُنَا بِالأماثِلِ (٢)

يَضُ يُستَسقَى الغَمامُ بِوَجهِهِ   الُ اليَتامَى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ (٣)

يطلب من الله تعالى إنزال المطر ببركته 6، وهذه من تفرُّسات أبي طالب فيما يكون لهذا النبي العظيم من الأثر الكريم ، وقد حقَّق الله تعالى فراسته . ثم يذكر – من شياطين قُريش- سُبيعَ ابن خالد ، أخا بلحارث بن فهر ، ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصي ، أخا خديجة (رض) ؛ المعروف بابن العدويَّة ، من الذين لم يُعامِلوا بالجميل، وإن كان منهم مَن يُظهر أحياناً أنه غيرُ خادع ، فهذا لايدفع عدم الغشّ عنه لأنه تمويهٌ وتلبيس :

ما قد لَقِينَا مِن سُبَيعٍ ونَوفَلٍ   كُل تَولى مُعرِضاً لَمْ يُجامِلِ

إنْ يُلفَيَا أو يُمكِنِ اللهُ مِنهُمَا   لْ لَهُمَا صاعاً بِكَيلِ المُكايِلِ (٤)

سِمُنَا بِاللهِ ما إنْ يَغِشُّنَا   ى قد نَراهُ جَهرةً غَيرَ خاتِلِ

زَى اللهُ عَنا عَبدَ شَمسٍ ونَوفلاً   ةَ شَرٍّ عاجِلٍ غَيرِ آجِلِ

زانِ قِسطٍ لايَغِيضُ شَعِيرَةً   هُ شاهِدٌ مِن نَفسِهِ حَق عادِلِ (٥)

فقد جازاهما الله حقَّهما بلا زيادة ولا نقصان . أما نحن فنحافظ على ما ورثنا من مجد قديم من أوائل الأزمنة :

---

(١) نبزى : نغلب ، مجهول بزى الرجل أو أبزى به : غلب عليه وقهره . نناصل : نقاتل بالمناصل : السيوف .

(٢) عمرُ الله : حياته ، جد : دام وعظم . الأماثل : الأشراف ، واحده : أمثل .

(٣) أبيض : سيد كريم . ثمال اليتامى : عمادهم وملاذهم وكافيهم . عصمة للأرامل : حافظ للمساكين رجالاً كانوا أم نساءً.

(٤) المكايل ؛ من كايله : إذا قال له مثل ما قاله، أو فعل مثل فعله مُجاراةً له .

(٥) الشاهد : اللسان .

نَحنُ الصَّميمُ مِن ذُؤابةِ هاشمٍ   قُصَيٍّ في الخُطُوبِ الأوائلِ (١)

انَ لنا حَوضُ السِّقايةِ فِيهِمُ   نُ الذُّرَى منهمْ وفوقَ الكواهِلِ (٢)

المراد : أنّا سادة السادة ، ((قال الأزهري : سمعت غيرَ واحدٍ منَ العَربْ يقول : فلانٌ كاهلُ بني فلان، أي : مُعتَمَدُهُم في المُلِمّات ، وسَنَدُهم في المُهمّات)) (٣)، وقال 6 في خطبة الوداع: [كُلُّ مأثُرَةٍ مِن مآثرِ الجاهِلِيَّةِ تَحتَ قَدَمَيَّ إلاّ سِقايةُ الحاجِّ وسِدانَةُ البَيت] :

د خِفتُ إن لَمْ يُصلِحِ اللهُ أمرَكُمْ   ونوا كما كانتْ أحاديثُ وائلِ (٤)

ن مِثلُهُ في النّاسِ أيُّ مُؤَمَّلِ   قاسَهُ الحُكّامُ عِندَ التفاضُلِ

يمٌ رَشيدٌ عادلٌ غَيرُ طائشٍ   والي إلهاً ليسَ عنهُ بغافِلِ

دَهُ رَبُّ العِبادِ بِنَصرِهِ   رَ دِيناً حَقُّهُ غَيرُ ناصِلِ (٥)

فَوَاللهِ لَولَأنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ   رٌ على أَشياخِنَا في المَحافِلِ

كُنَّا اتَّبعناهُ على كُلِّ حالَةٍ   مِن الدهرِ جِدا غيرَ قولِ التهازلِ

شَكَّ أنَّ اللهَ رافِعُ أمرِهِ   عليهِ في الدُّنيا ويَومَ التَّجادُلِ (٦)

---

(١) الصميم : الخالص . ذؤابة كل شيء : أعلاه . هاشم : ابن عبد مناف ، اسمه عمرو وكنيته أبو نَضلة . قصي : ابن كلاب بن مُرّة ، اسمه زيد وكنيته : أبو المغيرة ، وسمي قصياً ؛ لأن أمه ابتعدت به عن عشيرته في بلاد قُضاعة، وكان يسمى مُجمِّعاً أيضاً .

(٢) السقاية : ما كانت قريش تسقيه للحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يليها العباسُ بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام . الكواهل : جمع كاهل : مُقدَّم الظهر .

(٣) لسان العرب ، (كهل) .

(٤) وائل : ابناه بكر وتغلب .

(٥) ناصل : زائل ، من نَصَلَ الشّعرُ : زال عنه الخِضاب . وعبر بالماضي عن المستقبل في (أيده وأظهر)؛ لتحققه من حصول ذلك .

(٦) يوم التجادل : يوم القيامة ، وسمي بذلك لأن كلّ نفس تجادل عن نفسها فيه .

غاية المطالب ، ص١٠٢-١٣٤ .

يختم بأنَّ الله تعالى سيُظهر دينه في الدنيا بأن يجعل الغلبة لأهله ، ويوم القيامة بأن يجعلهم في دار رحمته .

وعند مَديحه سَيِّدَ الخَلْق 6 يفخَرُ أبو طالب بأنَّ قُريشاً كان لها مِن المآثر قبل الإسلام ما يبقى خالداً على الدَّوام :(من مجزوء الكامل)

أنتَ النبيُّ مُحمَّدُ   قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ (١)

ولنا السِّقايةُ لِلحَجِيْـ   ـجِ بها يُماثُ العُنجُدُ (٢)

والمَأْزِمانِ وما حَوَتْ   عَرَفاتُهَا والمَسجِدُ (٣)

ولقد عَهِدتُكَ صادقاً   في القَولِ لا تَزَيَّدُ (٤)

ويُقسِمُ أبو طالب : إنَّ جانب محمَّدٍ 6 لا يُضامُ ؛ لأنه سَيِّدُ الناس الذين اختارهم الله تعالى لِحَلِّ الشَّدائد : (من الطويل)

كَذَبتُمْ وبَيتِ اللهِ يُتلَمُ رُكنُهُ   ومَكَّةَ والأشعارِ في كُلِّ يَعمُلِ (٥)

وبالحَجِّ أو بالنِّيبِ تَدمَى نُحورُهَا   بِمَدْماهُ والرُّكنِ العَتيقِ المُقبَّلِ (٦)

هُمُ سادةُ السّاداتِ في كُلِّ مَوطِنٍ   وخِيرةُ رَبِّ النّاسِ في كُلِّ مُعضِلِ (٧)

وكانت العربُ تُسمِّي قُريشاً : أهل الله لكونهم أربابَ مكة ، يقول أبو طالب :(من الطويل)

فَيُصبِحَ أهلُ اللهِ بِيضاً كأنَّما   كَسَتْهُمْ حَبِيراً رَيدَةٌ ومَعافِرُ (١)

وينظر: ديوان أبي طالب ، ص٨٥-٩٤ و٢٩٣ .

(١) القرم : السيِّد . الأغر : الشريف .

(٢) يماث : يُذاب . العنجد الزَّبيب .

(٣) المأزمان : الموضع الذي بين عرفة والمَشعَر . عرفات : موضع وقوف الحجيج . المسجد ؛ المسجد الحرام .

(٤) ديوان أبي طالب ، ص٢٦٦ .

(٥) الأشعار: مصدر أُشعر الهدي: إذا طعن في سنامه الأيمن حتى يسيل منه الدم ليُعلَم أنه هديٌ . يعمل: الجمل النجيب.

(٦) النيب : جمع ناب : الأنثى المسنّة من الإبل . الركن : الحجر الأسود .

(٧) غاية المطالب ، ص١٣٨-١٤٢ .

وينظر: ديوان أبي طالب ، ص١٠٩.

لعزّة البياض عند العرب ، يستعيرونه لحسن الحال والجودة .

مَوروثٌ شَعبيّ :

وهناك قصصٌ تتّصل بتاريخ الأنبياء ، كما تتصل بالأساطير الجاهلية ، وهي عموماً من الموروث الشّعبي ، يقول أُميّة في رُقى الحيّات ، وكانوا يعتقدون بإخراج الحيّة من جُحرها للعزيمة والإقسام عليها : (من البسيط)

والحَيَّةُ الذَّكَرُ الرّقشاءُ أخرَجَها   مِن جُحرِهَا آمِناتُ اللهُ والقَسَمُ

إذا دَعَا بِاسْمِهَا الإنسانُ أو سَمِعتْ   ذاتَ الإلهِ بَدَا في مَشيِهَا رَزَمُ [٢]

اذا دُعِينَ بِأسماءٍ أجَبنَ لَهَا   لِنافِثٍ يَعتَدِيهِ اللهُ والكَلِمُ [٣]

لَولا مَخافةُ رَبٍّ كانَ عَذَّبَهَا   عَرجاءُ تَضلُعُ في أنيابِهَا عَسَمُ [٤]

كَيفَ يَأمَنُهَا أمْ كيفَ تألَفُهُ   وليس بَينَهُمَا قُربَى ولا رَحِمُ [٥]

وكانت العربُ تَزعمُ أنّ الهُدهُد حينما تُوفّيت أمّه ، رجع إلى أمر الله ؛ فحملها على رأسه ، وأنّ الرائحة المُنتنة التي فيه جرّاءَهُ [٦] . يَحكي أميةُ ذلك : (من الكامل)

تَعلَمْ بِأنَّ اللهَ ليس كَصُنعِهِ   صَنيعٌ ولا يَخفَى على اللهِ مُلحَدُ [٧]

غَيمٌ وظَلماءُ وغَيثُ سَحابةٍ   أزمانَ كفّنَ واسْتَرادَ الهُدهُدُ

---

[١] الحبير : ثياب ناعمة كانت تُصنع باليمن . ريدة : بلدة باليمن . معافر : حيّ من هَمْدان في اليمن .
غاية المطالب ، ص ٧٩ .
وينظر : ديوان أبي طالب ، ص٢٧٦.

[٢] الرزم : البُطء.

[٣] النافث : الساحر ، الراقي .

[٤] العَسَمُ يُبسٌ في المفرق تَعوّجٌ منه اليد ، والاعوجاج والانعقاف من صفة ناب الحية .

[٥] تفاصيل الأسطورة في الشّعر والشّعراء ، ١٦١/١-١٦٢ .
ديوان أمية ، ص١١٥-١١٧ .

[٦] ينظر : الحيوان ، ٥١١/٣ .
والجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله القرطبي ، ٤٤/٩ .

[٧] ملحد : الميت الذي أُدخل اللّحد .

مِنْ أُمِّهِ تَجْزِي بِصالِحِ حِمْلِها   وَلَداً وكَلَّفَ ظَهْرَهُ ما يَعقِدُ (١)

وفيما يتّصل بقصّة الطوفان، قيل: إنّ سيّدنا نوحاً υ أرسل الغُراب لينظر يابسةً من الأرض تكون مرفأً للسفينة، فلم يرجع، ثم أرسل سيّدنا نوحٌ υ حمامةً فرأت له اليابسة وكافأها بالطّوق في عنقها (٢). يذكر يذكر ذلك أميةُ مُشيراً إلى كلام إبليس من جوف الحيّة لإغواء سيّدنا آدم υ، فعاقبها الله سبحانه بجعلها زاحفةً على الأرض بلا أرجل (٣) :(من الوافر)

جَزَى اللهُ الأجلُّ المَرءَ نُوحاً   جَزاءَ الخَيرِ لَيسَ لَهُ كِذابُ (٤)

بِما حَمَلَتْ سَفينَتُهُ وأَنجَتْ   غَداةَ أَتاهُمُ المَوتُ القُلابُ (٥)

وفيها مِن أُرومَتِنا عِيالٌ   لَدَيهِ لا الظِّماءُ ولا السِّغابُ (٦)

عَشِيَّةَ أُرسِلَ الطُّوفانُ تَجري   وفاضَ الماءُ لَيسَ لَهُ جِرابُ (٧)

وأُرسِلَتِ الحَمامَةُ بَعدَ سَبعٍ   تَدُلُّ على المَهالِكِ لا تَهابُ

وَجاءَتْ - بَعدَما رَكَضَتْ - بِقِطْفٍ   عليهِ الثَّأْطُ والطِّينُ الكُبابُ (٨)

فلمّا فَرَّسُوا الآياتِ صاغُوا   لَها طَوقاً كما عُقِدَ السِّخابُ (٩)
كَذِي الأَفعى يُرَبِّبُها لَدَيهِ   وذِي الجِنِّيِّ أَرسَلَهُ يُسابُ (١٠)

---

(١) ما يعقد: ما يجعله معوجّاً.
ديوان أُمية، ص٥٥-٥٦.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٤٤/٩.

(٣) ينظر: الحيوان، ٣٢٠/٢-٣٢٢.
والجامع لأحكام القرآن، ٣١٢/١-٣١٣.

(٤) كذاب: ليس في جزائه كذب.

(٥) الموت القلاب: الموت المفاجئ، نسبة إلى القلب.

(٦) الأرومة: الأصل.

(٧) ليس له جراب: وعاء، كناية عن غزارة الماء.

(٨) القطف: كل ما قُطف من الثمار، أو العنقود غالباً. الثأط: الطين الأسود أو الحمأة. الكباب: الطين اللازب.

(٩) فرسوا: فصّلوا، السخاب: القلادة.

(١٠) الجني: إبليس؛ لذنوبه. يساب: يتركه يسير حيث يشاء.

فلا ربُّ المَنيَّةِ يأمَنُهـا ولا الجِنِّيُّ أَصبحَ يُستتَابُ [1]

وبعد هذه السياحة النُّورانية المعطَّرة بذكر الله جلَّ ثناؤه وتعالت أسماؤه ، يغمر القلب المطمئنّ حُبٌّ أسمى من كل حب وقبل كلّ حب ، هو الذوبان في العبودية المطلقة للذات الإلهية تقدَّس في علاه وشعَّت أنواره البهية على الكون كله . ليخرُج من استحق بمشيئة الرَّحمن من حضيض الضَّلالة وظلام الظلم وبؤس الاستغلال والأمراض التي تفتك به وترديه في عبودية حقيرة لأخيه الإنسان وحرمانه من كمال إنسانيته المتحققة في صلاته الرّوحيّة بالمعبود الحقّ الواحد الأحد ...

وصف القرآن الكريم العصر والمجتمع بـ(الجاهلي) ، وهذا حقّ حيث لا معرفة دقيقةً بالدّين وأركانه التي قامت على التوحيد الخالص ، وان كانوا يقرّون بملّة إبراهيم υ ويقولون بحنيفيَّتهم، لكنهم لايعرفون الشريعة الخليلية الحقَّة كما أنزلها الله تعالى وكما يريد تمثلها في عباده وهي دين الله الواحد للبشر أجمعين من لدن سيدنا آدم υ وحتى أظهره الله سبحانه بصورته الصافية النقية المحفوظة بقُدرة الجليل في القرآن الحكيم كتاب الله المبارك لدينه الخالد؛ الإسلام الحنيف .. وقد كان لُبّ الإسلام هو التوحيد منذ الأزل وإن انحرف عنه خلقٌ كثير مرارًا ، منهم الجاهليّون بدرجات تفاوتتْ قُربًا أو بُعدًا من التوحيد بل هناك من حاول أن يتلمَّسه ويَحياهُ . وكان ذلك في الشعر الجاهلي؛ سجلّهم الثابت العتيد ، مُعبّرًا عن مضامين ومظاهر توحيدهم أو أثارة من دين أبيهم إبراهيم وإسماعيل 8 .

وقد تحققت – هنا – الصّلة بهذا المعتقد الفطري ، وما ينطوي عليه وما يتَّصل به من خلقٍ وسلوك وتصرّف ، تجسّد في شعر ثلاثةٍ كانوا أغزرهم مادةً وأوضحهم في هذا السبيل .. وقد تعددت الموضوعات التي طرقوها فمنها ما يتعلَّق بالحنيفية وصفات الله الواحد وقدرته وقدره إلى مزايا يَحمَدُها المجتمع ويرضاها ربّ العباد وخلالٍ أُخرَ مُستهجنة يأباها الدّين القويم والخلق الرفيع ، ثم موضوع الثَّواب والعقاب والموت والنّشور والدار الآخرة ويوم القيامة ثم الجنّة والنار والجنّ والشّيطان وخلق الانسان والكون بما فيه من أرضٍ وما عليها وسماءٍ وكواكب وملائكة وبعث الأنبياء والمرسلين والأديان السماوية كاليهودية والنصرانية.. وهناك موضوع الأمم البائدة والممالك الغابرة وما يتعلق بالعرب وبلادهم من حوادث و أحداث ، والتعرض للأساطير الشّعبية واختلاط الخرافة فيها بالتأريخ منها ما روي على لسان الحيوان فضلًا عن معتقداتٍ مُستنبَطةٍ ماضية وعظاتٍ متواصلة تكتنز بدروس وأفكار تتصل بتقاليدهم وأعرافهم كصلة الرّحم والجوار أو بمركز دينهم (الكعبة المشرّفة) وما فيها من شعائر. وثمة معانٍ بل ألفاظ وعبارات في هذا الشعر التوحيدي جاء ما يناظرها أو يُماثلها او ما يطابقها في القرآن الكريم، إذ كان الأساس والأصل واحدًا ، والفكرُ المُعبّر عنه يجري في مجرى واحد هو الحنيفية ، يَنبع من مصدر واحد هو ربُّ العالمين بارئ الخلق أجمعين ، تستقي منه العامّةُ والخاصّة وفي مقدمتهم الشعراء، وقد برز منهم شعراؤنا الثلاثة كلّ في مجال ..

---

[1] ديوان أُميّة ، ص٢٣-٢٥ .

فأبو طالب كان اكثر شعره في حنيفية إبراهيم الخليل وإسماعيل الذبيح 8 ، وتاريخها والكعبة وشعائر الحَجّ وإظهار الله تعالى لدينه الذي ارتضاه وهو الاسلام ، ومديح الرسول الكريم 6 منذ مولده الميمون حتى مبعثه المبارك والدفاع عنه 6 والذبّ عن دينه ومُحاججة المعارضين ومواجهة المنكرين ؛ إذ كان عمدة الأحناف .

أما الأعشى فقد اهتم بتاريخ الجزيرة العربية و أحداثها والممالك العربية ورموزها والحروب التي اندلعت خصوصاً معركة ذي قار التي انتصر فيها العرب الحنفاء على الفرس المجوس آنئذ .مُشيراً إلى الأديان السماوية التي سبقت ظهور الإسلام فهو البكريُّ كثيرُ السفر صنّاجةُ العَرب.

وأهتم أميةُ بالتراث الشعبي وما يختزنه من قصص و أساطير ، فضلاً عن تأريخ الأنبياء و أممهم ، والموت والنشور والآخرة والجنة والنار والملائكة وتمجيد الخلاّق العظيم؛ فقد تحنّفَ وتنسّكَ ولبس المُسُوح.

وكان الخُلق الكريم يدور مع هذه الموضوعات عند هؤلاء الشعراء ، مُقاربين في كثير من الأفكار الفكر التوحيديّ، لاسيمّا في مدى تماثل أبياتهم مع آي الذكر الحكيم، وإذا كان الشكّ قد يتسرب إلى بعض هذه الأشعار ، فإنها عموماً تمثلُ فكرهم السائد والأساس الروحي القائم ، إذن كلّ الموضوعات التي عُرِضتْ والمعاني التي قيلت، يشملها ويزينها روح الحنيفية البيضاء التي هي قاعدة دين الله ومنطلق الشعراء ..

وتوكيداً لرصانة المنهج العلمي وسلامة نتائجه اعتمد البحث أحسن طبعات الدواوين ، ومنها استخلص مادّتَهُ ، فكان ديوان الأعشى قد حقّقَ تحقيقاً علميّاً ممتازاً ، وإن كان ديوان أبي طالب قد طبع طبعةً أزهرية قديمة إلاّ أنها شُفعتْ بطبعة محققة حديثة أمّا شعرُ أُمية فقد اعتُمدَ فيه تحقيق ممتاز ثم عُدل إلى تحقيق أحدث .

وما ذاك إلا لريبٍ في صحّة الأبيات التي تُشابه آياتِ القرآن المجيد ، وقد توقّف البحثُ عندها كثيراً فحذف منها ما لم تتأكّد نسبتُها إلى أمية وحدهُ بما يُطَمئنُ الباحث .

ختاماً لابدّ من الإقرار بأن النقص والخطأ قد يسريان في أثناء البحث ، فهذا من طبيعة البشر ، ولا عُذرَ إلا بذل المُستطاع من الجهد المتواضع . ولا كمال وتمام إلا لله سبحانه ثم لمن شاء من عباده المخلصين . والأمل معقودٌ – بعد توفيق العليم الحكيم – على الأساتذة الأفاضل والباحثين الأكارم ، بمد يد العون لإغناء البحث برأي سديد أو مُلاحظة مفيدة تنقّي البحث مما عَلِقَ فيه؛ خدمةً للحقّ والحقيقة.

والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل ، وله الحَمدُ أولاً وأخيراً .

جريدة المصادر

-**القرآن الكريم**.
- **الآثار الباقية عن القرون الخالية**
أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ت ٤٤٠هـ
ليبزك ، ١٩٢٣ .
- الإتقان في علوم القرآن
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
مكتبة ومط المشهد الحُسيني ، ط١ ١٩٦٧ .
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجُهَميّة والمُشَبّهة
أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدّينوري ت٢٧٦ هـ
تحقيق محمد زاهد الكوثري
الناشر مكتبة القدسي ، مط السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- **الأديان في القُرآن**
محمود بن الشريف
دار المعارف بمصر ، ط٤، ١٩٨٠ .
- الأزمنة والأمكنة
أبو علي المرزوقي الأصفهاني ت ٤٢١هـ
حيدر آباد الدكن ، ط١، ١٣٣٢هـ .
- أساس البلاغة
أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ
دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٢٣ .
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**
أبو عمر يوسف بن عبد البرّ القُرطُبي ت ٤٦٣ هـ
تحقيق علي محمد البجاوي
مكتبة نهضة مصر ، د.ت.
- الأصنام
أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت ٢٠٤هـ
تحقيق أحمد زكي
الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٢٤.
- **أُمية بن أبي الصلت حياته وشعره**

دراسة وتحقيق د. بهجة عبد الغفور الحديثي
مط العاني ، بغداد ، ط٢ ١٩٩١ .

- **البداية والنهاية**
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ
تحقيق د.أحمد أبو مسلم وآخرين
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ .

- **تاج العَروس من جواهر القاموس**
محمد مُرتضى الزَّبيدي ت ٨١٧ هـ
نشر دار مكتبة الحياة ، بيروت ، مط الخيرية ، مصر ، ط١، ١٣٠٦هـ .

-**تاريخ الرُسل والملُوك**
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

- **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**
حمزة الأصفهاني ت ٣٦٠ هـ
مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١ .

- **التبيان في شرح الديوان** (المتنبي) جزآن
المنسوب إلى أبي البقاء العُكبري ت ٦١٦ هـ
تحقيق مصطفى السَّقا وآخرون
مط البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٣٦ .

- **تفسير ابن كَثير**
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي ت ٧٧٤هـ
تحقيق نُخبة من العلماء
مط البابي الحلبي وشُركاه ، د . ت .

- **تفسير الطَّبري**
أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ
تحقيق محمود محمد شاكر و أحمد محمد شاكر
دار الفكر ، بيروت ، ط٢، ١٩٥٧م .

- **تفسير القرآن الكريم**
عبد الله شُبّر ت ١٢٤٢هـ

دار إحياء التُراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٧ .

- **التفسير الكبير**
  فخر الدين محمد بن عمر الرّازي ت ٦٠٦هـ
  مط البَهيّة المصرية ، ط١، ١٩٣٨م .
- **التيجان في مُلوك حِمْيَر**
  أبو محمد عبد الملك بن هشام ت ٢١٨ هـ
  حيدر آباد الدكن ، ط١ ١٣٤٧ هـ .
- الجامع لأحكام القرآن عشرون جزءً
  أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ
  مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥ .
- جَمهرة اللغة أربعة أجزاء
  أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي البصري ت ٣٢١ هـ
  دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، ط١ ، ١٣٥٣ هـ .
- الحَيَوان سبعة مجلدات
  أبو عثمان عمرو بن بَحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ
  تحقيق عبد السلام محمد هارون
  دار إحياء التُراث العربي ، بيروت ، ط٣ ١٩٦٩ .
- خِزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب ثلاثة عشر جزءاً
  عبد القادر بن عمر البغدادي ت ١٠٩٣هـ .
  تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون
  مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٩ .
- **ديوان أبي طالب بن عبد المطّلب**
  صنعة علي بن حمزة البصري التَّميمي ت ٣٧٥هـ
  تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين
  بيروت ، ١٩٩٦ .
- **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس**
  شرح وتعليق محمد محمد حسين
  مط دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- **ديوان أُميّة بن أبي الصَّلت**
  جمعه وحققه وشرحه د. سجيع جميل الجبيلي
  دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

- سُنن أبي داوُد   أربعة أجزاء
  الحافظ سليمان بن الأشعث السَّجستاني الأزدي ت ٢٧٥هـ
  راجعه على عدة نسخ وضبط أحاديثه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد
  مط مصطفى محمد ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، د. ت .
- الشعر والشعراء   جزآن
  أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦هـ
  تحقيق أحمد محمد شاكر
  مط دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٧.
- **غاية المُطالب في شرح ديوان أبي طالب**
  جمع وشرح محمد خليل الخطيب
  القاهرة ، ١٩٥١ .
- الفرج بعد الشدّة
  القاضي أبو علي التّنوخي ت ٣٨٤ هـ
  الناشر زكي مجاهد ، ١٩٣٨ .
- الكشّاف عن حقائق التّنزيل **وعيُون الأقاويل في وجوه التأويل**   أربعة أجزاء
  أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ
  مط البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- لسان العرب   عشرون جزءاً
  جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري ت ٧١١ هـ
  دار صادر للطباعة والنشر – دار بيروت ، ١٩٦٨ .
- مبادئ اللغة
  أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ت ٤٢١ هـ
  اعتناء محمد بدر الدين الحلبي
  مط السعادة ، مصر ،ط١ ١٣٢٥ هـ .
- مختار الصّحاح
  محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٦٦٦هـ
  الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٧ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر
  أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ت ٣٤٦ هـ
  دار الأندلس ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١ .
- مُسند أحمد

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١ هـ
تحقيق أحمد محمد شاكر
دار المعارف ، مصر ،ط٤ ، ١٩٥٤ .

- معجم البلدان
شهاب الدين ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ
دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٧ .

- معجم **مقاييس اللغة ستة أجزاء**
أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ
تحقيق عبد السلام محمد هارون
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ .

- **نصوص من التَّلبيات قبل الإسلام**
د. عادل جاسم البياتي
مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ع١١ ، ١٩٨٢ .

- نَقد الشعر
قُدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ
مط أنصار السُّنّة المُحمدية ، مصر ، ط١ ١٩٤٨ .

- نهاية الأرَب في فُنون الأدب واحد وعشرون سِفراً
شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٣ هـ
نسخة مُصوَّرة عن طبعة دار الكتب ، ١٩٣٨ بتَصحيح أحمد الزين
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.